الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف -المسيلة

كلية: الحقوق والعلوم السياسية
قسم: العلوم السياسية
رقم:

ميدان: الحقوق والعلوم السياسية
الشعبة: العلوم السياسية
تخصص: استراتيجية وعلاقات دولية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالبة: خليفي كلثوم

تحت عنوان:

الضغوطات الداخلية والإقليمية على إقليم الباسك بإسبانيا

لجنة المناقشة:

د.محمد بوضياف	جامعة المسيلة	رئيساً
د. السعيد ملاح	جامعة المسيلة	مشرفاً ومقرراً
د. حشاني فطيمة الزهراء	جامعة المسيلة	مناقشاً

السنة الجامعية: 2018/2017

الإهداء

إلى التي انفطر قلبي لأجلها ولم يحلو لي العيش بعدها

إلى صاحبة الحنانِ الدافي والحب الصافــي

روح أمي

إلى أبي أطال الله في عمره *** وأدام صحته*** وجعله تاجاً لا أنحني بدونه

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

الحمد لله وكفى والصلاة على النبي المصطفى خاتم النبيين والمرسلين.

بداية أشكر الدكتور سعيد ملاح على كل نصائحه القيمة أثناء مسيرة بحثي.

كما أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى كل من دعمني من أساتذة وزملاء وعلى رأسهم الدكتور حنان بن عبد الرزاق بجامعة محمد خيضر ولاية بسكرة.

أشكر أيضا عائلتي الكريمة على مساندتي طيلة مشواري أخص بذكري إلى أختي الغالية فاطمة الزهراء وزوجها كمال اللذان كانا معي إلى أخر لحظة.

إضافة لكل إخوتي وزوجاتهم و أبنائهم وأخواتي وأزواجهن وأبناءهن وكل الأقارب الذين ساندوني طيلة بحثي.

مقدمة

مقدمة:

يبدو أن قرن الواحد والعشرون هو قرن محاولة إعادة تشكيل وبناء العلاقات الدولية على أساس مفهوم" الهوية". إذ ظهرت صراعات عرقية تنادي بمبدأ شرعية تولي الحكم وفق مؤهلات تسمح لها بذلك، ما دفع إلى اضطرابات دولية نتيجة التخوف والتهديد بالدرجة الأولى لأن ذلك يخص المصالح وبقاء الدول.

انتشرت هذه الصراعات خصوصاً في أوربا إذ أصبحت تعرف بعصر القوميات، هذا ما أكدته فكرة **مازيني** عن القومية "... إن أمر الله ماضٍ لا محالة وسيحل التقسيم الطبيعي والميول الفطرية العفوية للشعوب محل التقسيمات الطبيعية الاعتباطية التي تفرضها الحكومات الفاسدة.وسيعاد رسم خريطة أوربا وتستيقظ " بلدان الشعوب" الناطقة بصوت الأحرار على أنقاض" بلدان الملوك" ونظام الطوائف ذات الامتيازات. وسيعم الانسجام وتشتد أواصر الأخوة بين هذه البلدان.."[1]

تنطبق هذه الفكرة على إقليم الباسك الذي يحاول الاستقلال والانفصال عن دولة اسبانيا، باعتبار هذه الأخيرة– حسبه لا تملك حق السلطة والولاية عليه.

أسباب اختيار الموضوع

تكمن أهمية دراسة الموضوع في أسباب موضوعية وأخرى ذاتية:

1–**الموضوعية:** يعتبر أحد مواضيع الساعة وأبرزها في العلاقات الدولية.إذ يشهد عالم اليوم ظهور أقليات تطالب إما بالاستقلال أو بحكم ذاتي أوسع وفق مقومات تؤهلها– حسبها– لبناء علاقات دولية هذا من جهة ومعارضة الحكومة المركزية لها، من منظور التأثير والمساس بمصالح الدولة الأم هذا من جهة أخرى.

[1] جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية،ط1، مركز الخليج للأبحاث ،الإمارات العربية المتحدة، 2004،ص761.

2-الذاتية: تكمن الأسباب الذاتية في رغبتي لدراسة مثل هذه المواضيع التي تتعلق بالصراعات العرقية، وذلك من خلال التطرق لمختلف جوانبها التي تفسر سعيها للاستقلال عن الدولة الأم.

أهمية دراسة الموضوع:

الأهمية العلمية: يعنى هذا الموضوع بحقل العلاقات الدولية عموما والدراسات الإستراتيجية خصوصاً،حيث يشكل عنصر فعال في بناء العلاقات الدولية إذ يؤثر على موازين القوى ومكانة الدول والتي بدورها تتخذ سياسات ضد هذه الأقليات.

هذا ما سنراه في إقليم الباسك وسياسات التطويق الدولية الممنهجة ضده على الصعيد الداخلي والخارجي.

الأهمية العملية: أصبحت أوروبا عموماً وإسبانيا خصوصاً مسرحاً للصراعات العرقية. وذلك بين مطالب الاستقلال يسعى إليها إقليم الباسك وهو محل دراستنا، الذي سنبحث في حيثياته وجذوره التي تعتبر -حسبه- أسباب للمطالبة بالاستقلال، وبين ضغوطات داخلية وأخرى خارجية تعمل على منع الإقليم من الاستقلال وذلك بناءً على مصالحها.

الإشكالية:

بناءًا على الملاحظة التاريخية يظهر أن إقليم الباسك يتبنى سياسات انفصالية في مواجهة الدولة الإسبانية، ومن خلال مراجعة أدبيات الحركات الانفصالية يبدو أنه يمتلك كل الشروط الموضوعية للانفصال، إلى أن هذا لم يحدث إنطلاقاً من ظروف دولاتية(إسبانيا) وإقليمية (أوروبا).

وعليه نطرح الإشكالية التالية: فيما تمثلت الضغوطات الداخلية والإقليمية على إقليم الباسك؟ .

لهذه الإشكالية بعض الأسئلة الفرعية:

1-ما هي العوامل والمحددات التي تدعم استقلال الباسك؟.

2- فيما تمثلت الضغوطات الداخلية؟.

3- كيف أثرت السياسات الإقليمية على الإقليم؟.

4- هل يمكن أن يخضع الإقليم لهذه الضغوطات دون رفض؟.

الفرضية العامة: حاولنا الإجابة عن الإشكالية المطروحة من خلال:

للضغوطات الداخلية والإقليمية دور في منع استقلال الإقليم بدليل محاولة عرقلة وتجاهل كل مطالب الإقليم منذ مدة.

الفرضيات الجزئية:

من خلال الأسئلة الجزئية نقدم الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: هناك عوامل تاريخية وجغرافية تعطي الإقليم الحق في إنشاء دولة مستقلة.

الفرضية الثانية: تمثلت الضغوطات الداخلية في فترة قمع وعنف تزامنت مع حكم فرانكو.

الفرضية الثالثة: أثرت السياسات الإقليمية على الإقليم من خلال إجراءات استنزاف اقتصاده وذلك من طرف الإتحاد الأوربي.

الفرضية الرابعة: يسعى إقليم الباسك خصوصاً منظمة ETA لتحقيق الاستقلال رغم كل العراقيل والإجراءات القمعية.

الدراسات السابقة: هناك دراسات اعتمدت عليها لأنها تمس جزء معين من الموضوع وهي متنوعة بين اللغة العربية واللغات الأجنبية الأخرى(الإسبانية والإنجليزية).

-**دراسة الدكتورة حنان بن عبد الرزاق** بعنوان: الأليات المؤسساتية لإدارة التعدد الإثني: دراسة حالة النزاع في إقليم الباسك بإسبانيا منذ 1959 تطرقت فيها إلى التعريف بالإقليم مبرزة بذلك أهم مقومات النزعة القومية.

-دراسة **Graham M .Stubbs.B A** بعنوان: comparative analysis of The intractability of The Basque حيث تناول في مذكرته هذه العنف الذي كان ضد الإقليم في محاولة لطمس كل مقوماته الأساسية بدء باللغة.

-دراسة **Michaelt.weaver** بعنوان: protest,Radicalismo and militancy in spain s Basque country :The Basque nationalist movement and The persistent struggle of The ETA .

جسد في هذه المذكرة أحداث الحرب الأهلية الإسبانية وكيف عانى شعب الباسك من ويلات الحرب.

-دراسة **José javier Freize** بعنوان: Emociones e historia تناول في كتابه تاريخ الإقليم ومشروع نضاله ضد العنف.

- **صعوبات الدراسة:** أثناء دراستي للموضوع واجهت بعض الصعوبات أهمها:

-ضيق الوقت نظرًا لأهمية وتوسع الموضوع.

- نقص دراسة الموضوع بالعربية.

- نقص المراجع المترجمة فقد قمت بترجمة معظم المراجع التي اعتمدت عليها في دراستي.

الإطار النظري والمنهجي:

أولاً الإطار النظري:

تناولت في دراستي للموضوع عدة نظريات أهمها:

النظرية البنائية: تندرج ضمن الحوار ما بعد وضعي إذ تعتبر جسر بين النظريات الوضعية وما بعد الوضعية، تنظر البنائية للعلاقات الدولية على أنها بناء اجتماعي متخذة موقفاً مغاير لموقف النظريات الوضعية من مفاهيم أساسية (المصلحة القومية والأمن والهوية) ويقوم الافتراض الأساسي للبنائية على أن الإنسان كائن **اجتماعي:**

بمعنى أنه يمكن لنا أن نكون أناساً دون علاقاتنا الاجتماعية التي كونت الناس على ما هم عليه الآن، يقوم نيكولاس أنوف في كتابه " world of our making " " عالم من صنعنا" إن الدول والمجتمعات من صنع الناس من خلال تفاعلاتهم البينية[1].

النظرية الإثنيو واقعية: تعد نظرية مهمة بالنظر إلى وحدة التحليل التي ركزت عليها وهي " الجماعة الإثنية " ،مرجعة سبب النزاع الإثني إلى مخاوف هذه الجماعات الإثنية على مصيرهم وهذا ما حصره David lake في:[2]

1- الخوف من التعرض للهيمنة الثقافية2- القلق من حياة الفرد.

النظرية النشوئية: هي بدورها تؤكد أن تقسيم المكان إثنياً واختلافهم عن بعضهم البعض من حيث القيم والثقافة ثم ترتفع عندهم احتمالات النزاع.

النظرية الليبرالية: يسعى أصحاب هذه النظرية إلى تغيير العالم لا فهمه؛وهذا حسبهم يتطلب احترام حقوق الإنسان،الرفاه الاقتصادي...وهذا ما أكده Kant في معنى له بأن الاحترام الحقوق الإنسانية في ظل نهج ديمقراطي سينجب الدول الديمقراطية من الميل نحو النزاع.

ثانيا الإطار المنهجي: أثناء دراسة الموضوع قمت باستخدام بعض المناهج وذلك بغرض التوضيح.

المنهج التاريخي: يعتبر المنهج التاريخي تقرير لصحة البيانات المتوافرة لحادثة أو عملية أو ظاهرة إنسانية طبيعية تمت في الماضي بواسطة القراءة والتأمل والتحليل والنقد وذلك

---

[1] أحمد قاسم حسين، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، سياسات عربية، العدد 20، 2016،ص130.

[2] سمية بلعيد، النزاعات الإثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيه: جمهورية الكونغو الديمقراطية أنموذجا،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، فرع الديمقراطية والرشادة، جامعة منتوري، قسنطينة،2009 /2010،ص ص 26،34،36.

من خلال التطرق إلى جذور شعب الباسك التي تعود للسكان الهندوأوربيون،إضافة لفترة الحرب الأهلية الإسبانية والتي كانت النقطة التي أفاضت الكأس لدى شعب الباسك. [1]

المنهج الوصفي: تستخدمه العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية،ويعتمد على الملاحظة بأنواعها بالإضافة إلى عمليات التصنيف والإحصاء مع بيان وتفسير تلك العمليات، تم استخدامها من خلال التمييز بين السلالات البشرية ووضعها حتى يتم تحديد الانتماء الحقيقي لشعب الباسك وذلك من خلال إبراز سماته الجسمية[2].

الإطار المفاهيمي:

-**حركات الانفصالية** Separatist Movements: هي الحركات التي تظهر في الدول متعددة القوميات والفيدرالية التي بسبب الشعور بالاضطهاد والتي ترغب في حكم وطني ويحاول تكوين سلطة تسعى للاستقلال عن الدولة الأم، وقد تلجأ الحركات في نضالها للعنف والإرهاب[3] .

- **الجماعات العرقية:** هي تجمع بشري يرتبط أفراده فيما بينهم من خلال روابط فيزيقية أو بيولوجية (كوحدة الأصل أو السلالة) أو ثقافية (خلال وحدة الدين أو اللغة أو الثقافة)، ويعيش هذا التجمع في ظل مجتمع سياسي أرحب مشكلاً لإطار ثقافي حضاري مغاير للإطار الحضاري لذلك المجتمع،ويكون أفراد هذا التجمع مدركين لمقومات هويتهم وذاتيتهم،عاملين دوماً يكون أفراد هذا التجمع مدركين لمقومات هويتهم وذاتيتهم،عاملين دوماً من أجل الحفاظ عليها ودعمها في مواجهة عوامل الضعف والتحلل.[4]

---

[1] مصطفى عليان ربحي، البحث العلمي: أسسه-مناهجه- أساليبه-إجراءاته، بيت الأفكار الدولية،الأردن،2001،ص41.

[2] عبود عبد الله العسكري، منهجية البحث العلمي في العلوم القانونية،ط1 و2، دار النمير،دمشق،2002-2004،ص06.

[3] إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية،(عربي-إنجليزي)،القاهرة،ص166.

[4] أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر: دراسة في الأقليات والجامعات والحركات العرقية،ط3،جامعة الإسكندرية،مصر،1988،ص122.

-**الحكم الذاتي:** Home Rule هو إعطاء قوات الاحتلال للسكان المحتلين بعض الحريات السياسية في أن يحكموا ذاتهم بأنفسهم من خلال مجالس منتخبة تحكم الشعب محلياً واجتماعياً، وهناك حكم ذاتي دستوري Constitutional Autoney وهو الحكم الذي تتمتع به عادة الجمهورية في اتحاد فيدرالي مثل الإتحاد السوفياتي السابق ويوغسلافيا أو الكونفدرالي مثل الكومنولث البريطاني وهي جمهوريات تتمتع بجميع السلطات ما عدا الدفاع والخارجية عادة. وهناك الحكم الذاتي المحلي Local Self Government وهو نظام سياسي وقانوني.الحكم الذاتي يعني إعطاء كل السلطات للإدارة المحلية ما عدا سلطات الدفاع والأمن القومي والعلاقات الخارجية فتبقى في يد السلطة المركزي[1].

-**القومية: Nationalism** يشير مصطلح القومية الذي انتشر خلال العقدين الماضيين إلى انتماء جماعة بشرية واحدة لوطن واحد شريطة أن يجمعها تاريخ مشترك ولغة واحدة وثقافة مشتركة لجميع المواطنين،والقومية عبارة عن (Ethnos) شعور متبادل بين الأفراد يجعلهم متأثرين في عواطفهم وسلوكهم بفكرة الولاء والانتماء لأرض معينة.[2]

-**الأمة:** هي مجموعة من البشر يدركون أن لهم هوية مشتركة و يتركزون في وطن، ولا يشترط لوجود هذه الهوية الحصول على اعتراف بها من قبل جماعات سياسية أخرى.هناك فرضية سلوكية تقول إن السياسة داخل" الدول" تختلف بشكل واسع عن السياسات السائدة بين " الأمة". ترتكز هذه الفرضية على فكرة تقول أن ولاء الشعب للأمة التي ينتمي إليها أقوى من أي ولاء أخر.[3]

---

[1] إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي،مرجع سبق ذكره،ص ص 183-184.

[2] نفسه، ص 336.

[3] جون بيليس وستيف سميث،عولمة السياسة العالمية، مرجع سبق ذكره، ص ص599-603.

-**الأقلية:** هي جماعة تشترك في واحد أو أكثر من المقومات الثقافية أو الطبيعية وفي عدد من المصالح التي تكرسها تنظيمات وأنماط خاصة بالتفاعل وينشأ لدى أفرادها وعي بتمايزها في مواجهة الأخرين نتيجة التمييز السياسي والاقتصادي والاجتماعي مما يؤكد تضامنهم ويدعمه. يتسم مفهوم الأقلية بالمرونة والنسبية لأنه يتحدد في الأساس من خلال وضع جماعة معينة داخل الدولة أو مجتمع ما. كما أنه عرضة للتغيير باستمرار بفعل عوامل عديدة،كالاندماج أو الانصهار ضمن الأغلبية العددية في الدولة أو الهجرة أو الارتحال عن الدولة إلى مناطق أخرى،أو بفعل التهجير القسري أو بفعل الانفصال عن الدولة وتأسيس كيان مستقل أو الاندماج مع دولة أخرى مجاورة[1]

-**السلالة:** Race هي فرع من النوع الإنساني،يشعر أعضاءها باشتراكهم في مجموعة من الصفات الوراثية، أو هي جماعة من البشر يشتركون معاً في بعض الصفات الجسمية الوراثية،وغالباً يقطنون منطقة جغرافية واحدة يقول: هوتون مثلاً: السلالة هي قسم كبير من النوع الإنساني وعلى الرغم من الاختلافات التي قد تكون قائمة بين أعضاءه إلا أنهم يشتركون في بعض السمات المورفولوجية والجسمية التي ترجع لانحدارهم من أصول قرابية مشتركة".

-السلالة وعلاقات جماعات الأقلية: وقد شاع استخدام مصطلح علاقات الجماعات الأقلية بين علماء الاجتماع خلال العقود الأخيرة، ويرجع أصله إلى ما يعرف بالأقليات القومية في أوربا، التي تتميز بالصغر النسبي،وبضم عددًا من الناس ويعيشون في منطقة متقاربة في وطن غير وطنهم،جماعات الأصلية هي جماعات عنصرية آو لغوية أو دينية

[1] أحمد عبد الحافظ، الدولة والجماعات العرقية: دراسة مقارنة للسياسة الروسية اتجاه الشيشان وتتراستان(1991-200)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 2005.ص ص32-33.

تواجه ظروفاً مشتركة، ومواقف موحدة،ويعاملون معاملة تعصبية من جانب الأفراد الآخرين[1]

-**الاستفتاء:** يعني إحالة القوانين التي نوقشت بالبرلمان وكذلك التعديلات الدستورية التي أقرها هذا الأخير فضلاً عن القضايا العامة ذات الأهمية إلى المواطنين لاستطلاع رأيهم فيها، وعلى الرغم من أن الاستفتاء يعد نظرياً الوسيلة المثلى لإعمال السيادة الشعبية من خلال الاحتكام المباشر للرأي العام إلا أنه يرد عليه تحفظان أساسيان أحدهما خاص بتأثيره على أضعاف وضع البرلمان في إطار النظام السياسي من خلال رد تشريعاته وتعديلاته للمواطنين لإبداء الرأي فيها، والآخر خاص بنقص المعلومات ذات الصلة بالموضوع محل الاستفتاء لدى المواطنين مما يشكك في القدرة على استقصاء مختلف جوانبها.[2]

-تفصيل الخطة:

قمت بتقسيم خطة البحث إلى ثلاث فصول كل فصل يتضمن مبحثان، هذا الأخير بدوره يحوي على مطلبان.

-الفصل الأول بعنوان: عوامل بروز النزعة القومية لإقليم الباسك بإسبانيا.

حيث تطرقت في المبحث الأول إلى العوامل المادية للإقليم،كان المطلب الأول يحوي الخصائص الجغرافية ،والمطلب الثاني حول القيمة الجيوبوليتكية له.

أما المبحث الثاني فيدور حول العوامل اللغوية للإقليم،المطلب الأول : العامل التاريخي المشترك للإقليم والمطلب الثاني حول العامل الثقافي.

بالنسبة للفصل الثاني عنوانه الضغوطات الداخلية على إقليم الباسك.

---

[1] عبد الوهاب الطيب بشير،الأقليات العرقية والدينية ودورها في التعايش القومي في إثيوبيا من الإمبراطورية إلى الفيدرالية 1930م-2007م،مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان2009،ص ص34-35.

[2] صقر الجبالي وآخرون،قاموس المصطلحات المدنية والسياسية،ط:1،مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية" شمس، 2004،ص27

حيث المبحث الأول تطرقت فيه إلى السياسات الوطنية الإسبانية في مواجهة إقليم الباسك،المطلب الأول فيه كان حول السياسة الإسبانية أثناء حكم فرانكو 1936-1975،أما المطلب الثاني حول فترة ما بعد فرانكو: من المركزية إلى اللامركزية.

وفي المبحث الثاني كان عنوانه ارتدادات الفعل الباسكي على السياسة الإسبانية في المطلب الأول: تطرقت إلى تطور علاقة الباسك بالدولة الإسبانية والمطلب الثاني إستراتيجية منظمة إيتا في الباسك.

الفصل الثالث والأخير عنوانه: الضغوطات الإقليمية على الإقليم ووضعيته بعد استفتاء الانفصال.

المبحث الأول: كان حول موقف الاتحاد الأوربي وقيمة الموقف الفرنسي اتجاه الباسك حيث المطلب الأول: تناولنا موقف الإتحاد الأوربي وفي المطلب الثاني قيمة الموقف الفرنسي.

أما المبحث الثاني عنوانه: وضعية إقليم الباسك بعد استفتاء الانفصال تطرقت في المطلب الأول إلى عودة الباسك إلى إسبانيا والمطلب الثاني زيادة راديكالية الحركة الانفصالية.

الفصل الأول:

عوامل بروز النزعة القومية الباسكية

المبحث الأول : العوامل المادية للنزعة القومية الباسكية

يحظى إقليم الباسك بأهمية جغرافية تتجلى في الموقع الجيواستراتيجي الهام وكذا مساحته وكثافته السكانية.كما أنه يتمتع بقيمة جيو بولتيكية تتمثل في الربط بين الدول الأوربية والتي جعلت منه محط أطماع الدول المجاورة.

– المطلب الأول: الخصائص الجغرافية لإقليم الباسك:

يقع إقليم الباسك في القسم الشمالي الغربي لإسبانيا، كما يشمل كذلك بعضاً من الحدود الجنوبية لفرنسا [1].على خط العرض 43 درجة في أقصى غرب سلسلة جبال البيرينيه، ويطل على خليج بيسكايا (البحر الكنطبري) [2].حيث يمتد من واد رونكال (Roncal) في الشرق حتى واد أصون (Ason) في الغرب لتصل جنوباً إلى واد إبرون (Ebron) .جبال البيرينيه الغربية بها أعلى قمة تسمّى قمة Anie يبلغ إرتفاعها 2504 متر، وبدرجة أقل obry، التي ترتفع 2017م متر أما باقي الجبال فهي تفوق 100 متر، إضافة لسلسلة جبال cantabrico تتخلل هذه الجبال كهوف ومغارات تعود لفترة ما قبل التاريخ أبرزها: مغارة Isturitz ومغارة oscocelkaya [3]توجد واجهتين بحريتين واضحتا الاختلاف: الكنطبرية والمتوسطية؛ ففي الواجهة الكنطبرية يتمركز غالبية السكان والصناعة، بينما في الواجهة المتوسطية والتي يحدها الإيبرو من الجنوب فهي فلاحية مع تمركز ضئيل للسكان. كما يسوده مناخ معتدل لا تتخلله اضطرابات حادة، غير أنه يتميز

---

[1] حنان بن عبد الرزاق، تأثير المأزق الأمني الإثني على الاستقرار الداخلي للدولة، دراسة للنموذج الاسباني من 1936، مذكرة مكملة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات، جامعة محمد خيضر ،بسكرة، 2016–2017، ص 165 .

[2] رامون زايو ميكيل أيوصو، تعرف على إقليم الباسك: رحلة إلى داخل ثقافته ، تاريخه، مجتمعه ومؤسساته، تر: عبد الرحيم الزوائري، 2009، ص 8 .

[3] حنان بن عبد الرزاق، الآليات المؤسساتية لإدارة التعدد الإثني – دراسة حالة النزاع في إقليم الباسك بإسبانيا منذ 1959م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات ، 2007–2008، ص 56 .

بكثرة التساقطات(2.000 ملم سنوياً في المناطق الرطبة و 500 ملم في ضفة الإبرو) في جميع الأحوال يمكن التمتع بوجود ثلاثة مناخات مختلفة:

1- سوبالبينو في منطقة البيرينيه. 2- أطلسي معتدل ورطب في الساحل.

3- متوسطي بوغازيا في جنوب أربا ووسط ومتوسط نابارا (حار في فصل الصيف وبارد في فصل الشتاء) [1].

تحتل وسكال هيريا أو ما يترجم على أنها "مواطنون من بلاد الباسك" اليوم ربع مقاطعات ذاتية التوجيه في إسبانيا تعرف بإسم: فيزكايا - غيبوزكوا ألافا ونافار، وتبلغ مساحتها حوالي 7000 ميل مربع، ويوجد في المنطقة الشمالية من إقليم الباسك ثلاث مقاطعات تشكل الجزء الفرنسي المعروف باسم: لابوردي وباس ونافار- سول، تضيف 1000 ميل مربع إلى مجموع إقليم الباسك [2].

يلاحظ أَنّ المقاطعات السبعة لا تتمركز بالقرب من بعضها البعض، تبلغ مساحة هذه الأراضي (المقاطعات السبعة) حوالي 20.600 كم مربع تقريباً حجم ولاية New jersey .[3] ويقطنه حوالي 2.2 مليون نسمة [4]. ونظراً للتدفق الكبير للمهاجرين من مختلف البلدان، بدأ ق21 بالتمزق في أنماط الهجرة لبلاد الباسك، حيث هذه الأخيرة توقفت من كونها مُصدرةً لسكانها وأصبحت بدلاً من ذلك منطقة مضيفة؛ حيث زاد الوزن

---

[1] رامون زايو وميكيل أيوصو، مرجع سبق ذكره، ص 08 .

[2] Graham M. Stubbs.B.A, Acomparative analysis of The intractability of the Basque conflict, A thesis submitted to tho faculty of the school of continung studies and of graduate school of arts and sciences in partial Fulfillment of requirements for The degree of master of art in liberal studies georgetown university,wshington,D.C ,2012,p13.

[3] Michael T .Weaver , protest ,Radicalism and Militancy in Spain‘s Basque country :The Basque nationalist movement and The persistent struggle ETA .AThesis in partial fulifllment of The requirements for The distinction "All college Honors" and The degree Bechelor of The arts in The department of political science.2002,p19.

[4] Pais vasco . pdf .http : //www.mercasa .es/ files/ multimedios/ 04-pais-vasco. Pdf, p95.

النسبي للمقيمين الأجانب (منْ 21.140 في عام 2000 إلى 141.316 في عام 2014م) (يعني من 1.0 % إلى 6.5 % من إجمالي السكان)[1]

اقتصاد الباسك:

يشمل عرض الإقليم أكثر من 40.100 نشاط تجاري بالتجزئة حيث تصل مساحة مبيعات عن ما يزيد 3.8 مليون متر مربع، تمثل تجارة الأغذية 36% من التراخيص، و19% من مساحة المبيعات، وتسجل تجارة الأغذية المتخصصة من جانبها 13.700 مؤسسة تبلغ مساحتها 400.000 متر مربع (متوسط المساحة لكل منشأة متر مربع).

يتمحور الهيكل التجاري لبلد الباسك حول ثلاث مجالات تجارية بلباو– سان سيباستيان وفيتوريا، تنقسم هذه المناطق بدورها إلى شركة فرعية تجارية. [2]

ونظراً لموقع الإقليم الجيو استراتيجي الهام المتمثل في الربط بين الطرق (إسبانيا وأوروبا) والمترجم من خلال التنقل والرحلات التي يقوم بها الاقليم، و التي تدل على الانتعاش الاقتصادي في الباسك ،عرف الإقليم تنقل مكثف، حيث تصل العلاقات مع كانتابريان إلى 60.258 رحلة يومية، ويرجع ذلك بشكل كبير إلى العديد من الرُّكَّاب والسكان، التي تتأرجح بين كانتابريان الشرقية وبلباو الكبرى، والجدير بالذكر هي التدفقات مع بورغوس (Burgos) 55.971 رحلة يومياً، خاصة المكثفة مع بلدة ميراندي دي إبرو Mirande de Ebro)ومقاطعة تريفينو Trevino وذلك حسب الأهمية مع فرنسا (25.746 رحلة)، نافار 23.773 ولاريوخا 20.791 وأخيراً هناك رحلات البالغ عددها 19.838 رحلة التي أجريت من إقليم الباسك إلى وجهات أخرى والسبب في هذا النزوح خارج

[1] Juan Ramon Murua and Begona Eguia , contribution of The immigrant population to demographic and dynamics of The Basque contry,publiched : 6/07/2015,see : 7/12/2017 at : 11 :45 http://file.scirp.org/pdf/NS-2015070616373426.pdf

[2] Pais vasco :op– ct,p95.

الحدود الإقليمية هو أن مدار النفوذ الاجتماعي والاقتصادي المباشر للبلاد يدمج بين هذه الأراضي.

عدد الرحلات اليومية في إقليم الباسك(2007)

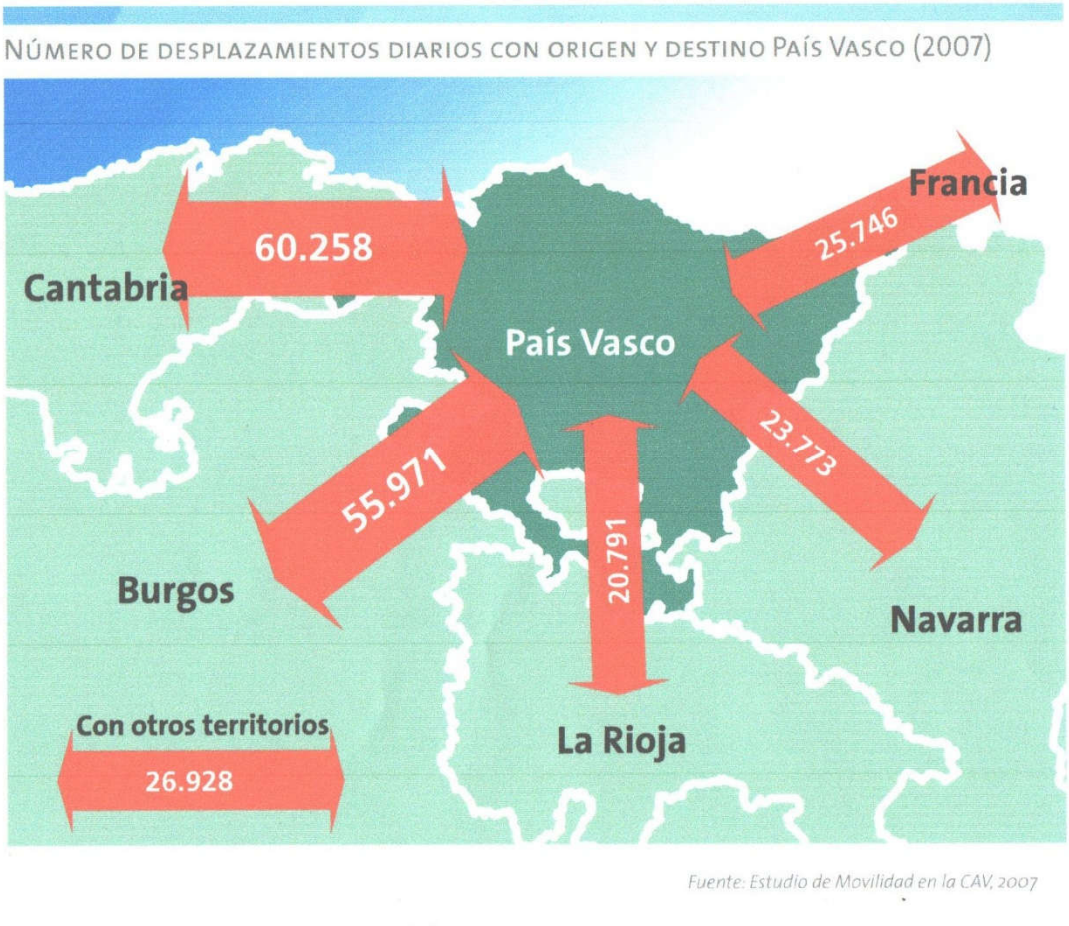

المصدر: دراسة التنقل في CAV 2007.

يوجد في إقليم الباسك نظام نقل حديث تدعمه شبكة الطرق الكثيفة ذات السعة العالية وشبكة المطار؛ حيث يبرز مطار Sondika الدولي وميناء بلباو زعيم خليج بيسكايا. (1)

(1) Jose A .Herce , La economa del pais vasco :Diagnostico estrategio,servicio de estudios de " la caisca" ,Barcelona,2010,pp17,18,19.

من خلال ما سبق تتضح رغبة إقليم الباسك في إثبات دوره على المستوى الأوربي (شبكة الطرقات). كما يُوضح porter مفهوم التنافسية الإقليمية (1980) : إنّ مستوى الحياة آو الازدهار في منطقة أو بلد تحدده الإنتاجية التي يستخدم بها موارده البشرية ورأس المال والموارد الطبيعية. بالتالي التعريف المناسب للقدرة التنافسية هو " الإنتاجية "، تعتمد هذه الأخيرة على قيمة المنتجات أو الخدمات (التفرد والجودة) و على الكفاءة، وما يهم porter ليس الصناعات بل كيف تتنافس الشركات في تلك الصناعات ففي النهاية إنتاجية منطقة أو بلد هو انعكاس لما تقرره الشركات المحلية أو الأجنبية على حد سواء [1]. لكن السؤال الذي يمكن طرحه هو ما إذا كان المشكل في عدم توفر الإنتاج ؟ هذا ما عانى منه إقليم الباسك في فترة ما بين 1981– 1991 والمتعلق بالطاقة. كانت فترة العشر سنوات بمثابة وضع جذاب وفي نفس الوقت تحدٍ صعب في بلاد الباسك، رغم انه على المستوى السياسي والاقتصادي تم تشكيل حكومة الباسك وأصبح نظام الحكم الذاتي ساري المفعول. ولكن من ناحية الطاقة عانت المنطقة من تقادم شروط الإنتاج والبنى التحتية. في هذا السياق كانت هناك حاجة واضحة لسياسة طاقة محددة بدقَّة، تم تنفيذ إستراتيجية طيلة هذه الفترة؛ بنيت السياسة لعام 1982م حول ثلاثة مفاهيم أساسية: كفاءة الطاقة – تنوع الطاقة (من خلال الغاز الطبيعي) وتسخير مصادر الطاقة المتجددة.

جاءت نقطة البداية في شكل دعم للصناعة بتحويلها نحو معدات صناعية أكثر كفاءة. وجزء من برنامج لإعادة الهيكلة الاقتصادية وإطلاق حملات وبرامج دعم تهدف لتعزيز الاستخدام الرشيد للطاقة كانت تحت رعاية مركز الطاقة والتنمية والتعدين (A D E M) الذي أنشئ عام 1981م .

---

[1] Ricardo Monge Gonzalez y José Manual Salazar-Xirinachs,politicas de clusteres y de desarrollo productivo en la comunidad Autonoma del pais vasco,ed :1,organizacion internacional del trabajo,Americas,2016,p22.

إستراتيجية التنويع ركزت على الغاز الطبيعي كبديل رئيسي عن المشتقات النفطية التي شكلت في ذلك الوقت 62% من الطلب، وهذا يعني تعزيز البنى التحتية للغاز، وإدخال تكنولوجيا جديدة مثل الحرارة والطاقة المشتركة (أو توليد مشترك)، فجاءت علامة بارزة أخرى مع إنشاء جمعية الغاز في Euskadi في 1983م .كانت أول شبكة للغاز هي في فيتوريا غاستيز gasteiz–vitoria وتطوير حقل غافيوتا gaviota البحري للغاز بين 1987 و 1992 م مما ساعد على تسريع التوسع في صناعة الغاز في الباسك.

-كما ركزت التطورات في مجال الطاقة المتجددة في 1980م على البحث والتطوير التكنولوجي مع الدراسات لوضع قواعد المعرفة وتحديد مصادر الطاقة المتجددة مثل: الطاقة المائية الصغيرة والطاقة الشمسية والرياح والكتلة الحيوية .

تم إنشاء مجلس الطاقة ووكالة الطاقة بالباسك (EVE) في 1982، ليكون بمثابة أداة إدارية مهمتها إدارة جميع الأدوات الأساسية في سياسة الطاقة وتوفير إدارة فعَّالة من حيث التخطيط والمراقبة والرصد .وقد سعت الإستراتيجية الثانية للطاقة التي تمت في 1991م إلى تجديد منشآت التوليد من أجل تحسين القدرة التنافسية القارية ومستويات الراحة السكنية وتشجيع برامج الصحة .

بهذه الطريقة يمكن تحقيق التنافسية الإقليمية التي حصرها porter في الإنتاجية، نعطي مثال على أهمية الإنتاجية للطاقة في أوساط الشعب الباسكي؛ حيثٌّ ارتفع الطلب على الطاقة الذي تم قياسه من حيث الاستهلاك النهائي، حوالي 7000 طن في عام 2001م إلى 8428 مليون متر مكعب عام 2008م بمتوسط نمو سريع قدره 2.3 % ويقارن هذا الرقم ب1.7% خلال العقدين الأخيرين منذ 1971م. ساهمت القطاعات الأكثر ارتفاعاً في إجمالي عدد الوحدات السكنية والبناء بنسبة 36% مقارنة بالصناعة والنقل (28% و27%). يتناقض هذا التوزيع مع القطاعات في بلاد الباسك التي تهيمن

عليها الصناعة 45% يليها النقل 33% والخدمات السكنية 20% وأنواع الوقود المستخدم هو: الفحم في الصناعة، النفط في النقل، والغاز في قطاع السكن.[1]

المطلب الثاني: القيمة الجيوبو ليتيكية لإقليم الباسك

يتميز إقليم الباسك بأهمية جيوبوليتيكية،إذ يقع على مفترق طرق إسبانيا وأوربا. ينعكس موقعه الإستراتيجي في التدفقات الشديدة التي سجلتها ممرات النقل إلى أوربا وبقية شبه الجزيرة [2].

وبسبب موقعه الجغرافي وتوافر الموانئ الطبيعية ومصبات الأنهار الصالحة للملاحة، كان إقليم الباسك لعدة قرون طريق العبور الطبيعي بين إسبانيا وشمال أوربا. عززت سياسة غير التعريفية في ذلك المجتمع التجارة الحرة حيث كانت التجارة في شمال إسبانيا مركزة في موانئ بلباو وسان سيباستيان (porter وأخرون: 2012) [3].

فميناء بلباو تحتل موقعاً مركزياً على الواجهة الأطلسية وتقع على ما يسمى الطريق السريع في البحر الأوربي من أوربا الغربية التي تربط البرتغال وإسبانيا مع بحر الشمال والتي يتم الترويج لها من الإتحاد الأوربي.

ووفقاً لهيئة الميناء تصل مساحة نفوذه إلى 16 مليون نسمة داخل دائرة نصف قطرها 400 كم .

في الوقت الحالي تتمحور شبكة الطرق حول أربعة (04) محاور:

1–ممر كانتابريان الذي يشكل A-8 / 8-Ap وأنه بالإضافة إلى ربط بلباو وسان سيباستيان، يسمح بالتواصل مع فرنسا وبقية ساحل كانتا بريان.

---

(1) Bernabé unda Barturen ,energy strategy for The Basque country 2020,2012,pp08-09-19.

(2) José A .Herre ,op-ct ,p17.

(3) Ricardo Monge Gonzalez , y josé Manuel Salarzarxirinachs ,op-ct,p22.

2- محور A-1 و 1-A التي تتصل فيها فيتوريا مع سان سيباستيان وكذلك مع مدريد ومحور إيبرو Ebro وفرنسا .

3- والطريق السريع 68-Ap التي تسمح بالاتصالات المباشرة بين بلباو وفيتوريا وكذلك مع محور إبرو Ebro إلى البحر الأبيض المتوسط .

4- الطرق التي تسمح بالاتصال السريع مع نافار ومنطقة بيرينان (pirenaaica) A-10و A-15 [1]

على هذا الأساس بدأت الأطماع الأوربية وعلى رأسها إسبانيا وفرنسا برسم الحدود وتقسيم المنطقة وفقاً لمصالحهما.

شبكة الطرق بين بلاد الباسك والبيئة الإقليمية- المصدر: وزارة التنمية وحكومة الباسك

يقول Arturo Soria: إنّ الأراضي هي البناء الثقافي الذي على دعم من الإغاثة الطبيعية القديمة ولدت أشكال اصطناعية التي تكيف الفضاء لاحتياجات الإنسان بالتالي الإقليم الحالي هو" حيلة ناجمة عن رواسب ما قامت به الحضارات السابقة".

إنّ الاهتمام الإستراتيجي هو الذي حفّز رسم الخرائط الأولى المعنية بتمثيل تعَقُّب الحدود بدقة.

تم حفر الخط على سلسلة الجبال وفي بعض الأنهار والوديان وكان ذلك مع ق17 مع معاهدة البيرينيه 1659م، عندما كانت جبال البرانس مزورة كحاجز للانفصال؛ إن مفهوم البيرينيه كحاجز هو رؤية خارجية ينظر إليها من السهول الإسبانية والفرنسية، حيث يتم بناء المشاريع الجيوسياسية العظيمة، وكثيراً ما اعتبروا السلسلة الجبلية بمثابة الأفق الأقصى للتوسع؛ وقد أعتبر ذلك خلال الإمبراطورية الرومانية حيث وصفتها بأنها الفصل بين الإيبيريه والغالياس Iberia و Galias.

يمكن رؤية هذه السمة خلال الفترة الرومانية عندما أقامت منشآت عسكرية على المراكز؛ أقيمت أول الحصون في الأماكن الإستراتيجية في البيرينيه الشرقية وليفيا وكوتليور والتي كانت إحدى النقاط التي يمكن من خلالها التحكم في حركة المرور من قبل الطرق الرومانية القديمة؛ في تلك الأوقات كانت نافار هي وجه التبادل التجاري للجنوب مع الشمال وتحول الوزن السياسي تدريجياً نحو الجنوب حيث انتشرت القلاع وظهرت طرق مثل كامينودي سانتياغو مما سمح بتطوير التجارة الدولية وكانت الخطوة التالية إنشاء المدن وظهور الجمارك ما يفسر مصادر الثروة والازدهار النسبي في نافار وأراغون(Aragon) في ق 12، وسوف يمتد نفوذهما إلى كورديليرا في القرون اللاحقة (Gorria 1995 :68-72)، كتب المهندس العسكري للملكية الإسبانية Juan Antonelli Bautista عام 1569 م تقريراً عن التحصين الذي بدأ من فكرة: " أن الطبيعة هي نفسها التي جعلت شبه الجزيرة قوية؛ يحيط بها البحر مع عدد قليل من

الموانئ الطبيعية في البحر الأبيض المتوسط ومع فصل جبال البيرينيه عن فرنسا » فكان على الحصن أن يدافع عن الخطوات التي تركتها الطبيعة مفتوحة .

إنّ معاهدة بيرينيه 1659م وضعت حداً حرب الثلاثين وكانت نقطة تحول في النضال من أجل الهيمنة في أوربا. حاول أوستریاس الإسبانية بكل الوسائل للحفاظ على إمبراطوريته التي عانت أثناء الحرب (التضخم) حيث لم يكفي الذهب الأمريكي لتنظيف الخزائن الملكية التي أُفقِرتْ بسبب الحرب، ولا الهيكل السياسي القائم على اتفاقيات بين مختلف الأقاليم وهذا لفتح الموارد الاقتصادية على الجهات المتعددة طوال ق 17.

ومع تصاعد قوة الفرنسيين إضافة لوزن ديمغرافي هام (المبيعات 1989) شهدت في الضعف الإمبراطوري فرصة للتوسع بقيادة رئيس الوزراء Luis xlll (لويس الثالث عشر) والكاردينال ريتشيليو وحلفاءهما لويس الرابع عشر و cordenal Magazino. بعد معاهدة وستفاليا تم تكوين السيناريو الأوربي باعتباره نظاماً قائماً على الاتفاق بين السلطات حيث تم قياس قوة كل واحد من حيث التمديد والسكان والثروة؛ هذا السيناريو هو العقلانية، لإصلاح النطاق الإقليمي لكل واحد.

هذه العقلانية المزعومة؛ يبدو أن ريتشيليو قد استند إليها عندما حاول أن يأخذ حدود جبال البرانس، بطبيعة الحال كانت هناك حجة مبررة للاستيلاء على الأراضي ذات الأهمية الإستراتيجية و النضال من أجل إضعاف إسبانيا.

يبقى معرفة ما إذا كانت أطروحة الحدود الطبيعية هي مشهد سياسي بسيط أو حقا نظرية مقبولة للقوة؟.

بعد المعاهدة تقبلت السياسة الخارجية الاسبانية نهاية هيمنتها فركزت على البحث عن حلفاء لموازنة الآلية العسكرية والدبلوماسية، فكانت فكرة لويس 14 هي الحفاظ على ما تبقى من الإمبراطورية (Usunariz 2006,406) .

من الواضح أنّ هناك استعداد للقيام بهذا العمل وأن الاستقرار السياسي شرط لا غنى عنه، إضافة إذا كان إعادة التخصيص الإقليمي نتيجة للصراعات المسلحة يمكن اعتبار ترسيم الحدود كأداة لصون السلام . هذا ما أعلن عنه وزير الخارجية الفرنسي من خلال لجنة، المهندسين 1814، فترسيم الحدود كان دائماً حاجزاً كقضية معلقة لم يكن حتى عام 1851 عندما اتفقت الدولتان على حاجتهما وبدأت المفاوضات بجدية 1853م (Saalins.1993.245.246) لمدة 15 عام. وضع المفوضون لترسيم الحدود علامات على خط الحدود البالغ طوله 685كم، مع زرع 663 خطا في 07 معاهدات دولية وهي ما تسمى بمعاهدات بايون Bayona الحدودية.

قسمت الحدود إلى ثلاث أجزاء غيبوزكوا– نافار Huescaو lleida و Gigirona.

هنا السلام لا تنشئه السلطة والسياسة القضائية وإنما هو ثمرة المفاوضات كما لوحظ في ق14 م أنه في جميع أنحاء البرانس هذه الاتفاقيات توفر جانباً تجارياً.

بعد عودة السلام بإسبانيا 1559م، اتفاقيات faceria تصل إلى الأوج مع حرية التجارة والحبوب وتدفق الناس والأعمال في بناء الكنائس وحركة الهجرة من الشمال إلى الجنوب من خلال الممرات الجبلية، وخلال حرب الأديان كانت قد اقترحت وديان وسط جبال البرانس لضمها لإسبانيا وأدى خروج البروتستانتية من قبلEnrique IV ونهاية التهديد بالحرب لعدم ازدهار المشروع (Brunet 2002) هذا من جهة. ومن جهة فرنسا، فبايونا والتي هي واحدة من الحصون الحدودية الفرنسية الرئيسية لا يمكن أن تستمر إلا من خلال التجارة مع غيوزكوا.

تضم جبال البرانس الغربية جزءًا من الدائرة الحالية في بيرينيه أتلانتيكي في الشمال والمجتمعات المتمتعة بالحكم الذاتي في إقليم الباسك ونافار في الجنوب حيث تعطي أعلى كثافة سكانية ووحدة ثقافية ولغتها التي ينعكس تأثيرها من خلال أسماء المواقع الجغرافية.

الباسك أكثر انفتاحاً بالشمال من الجنوب: في الشمال تغطيها التلال التي تتوج بغابات الخشب (وArbailles Irati) والوديان الصغيرة، وتسليط الضوء على بلد صغير Cize التي مركزها التقليدي S T-jean– pidde port عند سفح Roces Valles حيث لا تزال آثار كامينودي ميناء سانتياغو في الجنوب بهذا تم إنشاء مملكة نافار التي كانت تربط وديان المنحدر الشمالي للبيرينه ولم يتم دمجها في التَّاج الاسباني حتى 1512م نتيجة لرصد قوة بين الملكيات الاسبانية والفرنسية للقرن 16م .

بهذا كانت جبال البيرينيه ذات أهمية ومركز جيوبولتيكي بالنسبة لكلا الجانبين(فرنسا – إسبانيا)وأهم نقطة بها والتي تعتبر أساس الصراع هي منطقة الباسك .لذلك يحاول كلا البلدين الاستفادة من الجبال، والموقع الهام بكل خصائصه وتنوعاته؛ وديان، انهار، تلال..يقول: " Anonimo 1700 "«... ليس هناك المزيد من جبال البرانس »[1]

كانت هذه المعاهدات هي التي كسرت بلد الباسك لصالح الحكومتين الفرنسية والإسبانية، وخلقت فقدان دائم بين الأصليين في شبه الجزيرة الإيبيرية[2].

المبحث الثاني : العوامل اللغوية للنزعة القومية الباسكية

يعتبر الإقليم العامل التاريخي والثقافي كأهم مقومات بروز النزعة القومية لدى الباسكيين إذ يتجلى التاريخ عندهم كدليل على حقيقة إنتمائهم،إضافة للعامل الثقافي الذي يوضح خصوصيتهم واختلافها عن البقية.

---

(1) Joan Capdevilai sulbirana , Historia del deslinde la frontera Hispano- Francesa- del tratado de los pirineos(1659) ,a los Tratados de Bayona (1856-1868) -2009,Centro nacional de informacion Geografica,Espana, pp 24,39,45,48,49,50,52, 53,54,55,56,57,72,73.

(2) Graham m.stubbs ,B.A op-ct,P18.

المطلب الأول: العامل التاريخي المشترك لإقليم الباسك

إنّ تاريخ الباسك معقد ويتصف بالغموض وهذا بحسب ما أشار إليه المؤرخون في دراستهم للإقليم كما يشير F.Lot بقوله: ... ينبغي على المؤرخين أَنّ يحذروا عند دراسة تاريخ الباسكيين ...وهذا في ظل الافتقار لوثائق عمل تاريخية عن Gascogne. »[1] ترجع الحيثيات التي تم العثور عليها في إقليم الباسك إلى العصر الحجري (150.000سنة قبل ميلاد المسيح) كما عثر على بعض العظام وعلى أدوات يرجع أصلها إلى سكان يناندیرتال، وتعتبر بعض بصمات لرسومات على الحجر من بين الموجودات البالغة الأهمية، إضافة لمغارات مكتشفة في ألكين، التشري، سنتاميمني والبيردي. [2]

أرجع الأركيولوجيون أن أصول الباسك تعود إلى الجماعات الهندوأوروبية منذ نحو الفين سنة ق.م على الأقل ويرى البعض أنهم انحدروا من رعاة العصر الحجري الحديث.يمتاز الإنسان الباسكي بجملة من السمات من خلالها يمكن التوصل إلى أي عصر ينتمي فهو يجمع، بين القامة المتوسطة النحيفة والأنف الرفيع والوجه الضيق جداً، الذقن الرفيعة والحواجب البارزة قليلاً والجبهة المنتفخة قليلاً أما رأسه شكله يتراوح الطويل والعريض، بعض الباحثينvirchow و Broca وجدوا أن النسبة الرئسية تصل إلى78 ويرى pruner أن رؤوسهم عريضة، وأن نسبة 83% على شكل الرأس يميل فيها بصفة عامة نحو المتوسط وتشبه لحد الكبير رؤوس الكلت في عصر الحديد، وهذا ما دفع بالأنثربولوجيين أمثال Aranzadi إلى القول بأن الباسك ينتمون أصلاً إلى عناصر إيبيرية قديمة [3].

---

[1] حنان بن عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص59.

[2] رامون زايو وميكيل يوصو، ص 10.

[3] حنان بن عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص 59 .

يمتاز الباسك بوجود نسبة كبيرة من فصيلة الدم ريسوس RH السلبية وبانخفاض نسبة فصيلة الدم B، فالباسك إذن لا يتميزون بتركيز شديد في صفات وراثية معينة كما كان يقال [1].

سيطرة الإمبراطورية الرومانية:

لقد بدأت الإمبراطورية الرومانية في ضم مناطق من الأراضي الباسكية في القرن الثاني ق.م دام خلالها الوجود الروماني خمسة قرون. عرف التواجد الروماني عدم التوازن فلقد كان ضعيفاً في المناطق الجبلية والساحلية بينما عرفت المناطق الفلاحية و المنجمية توغلاً سريعاً ومكثفاً .

كان الهدف الأساسي من الدخول لبلاد الباسك هو جعلها نقطة ربط بين الطرق التجارية الرومانية الممتدة عبر أوسكال هيريا والتي تربط المتوسطي بالشمال الغربي لجزيرة الإيبيريه وإسبانيا بإيكيطانا ومع توغل الإمبراطورية الرومانية على يد سيزار في فرنسا ثم معها التوغل في إبارالدي بعد ذلك.

انعكس هذا الاضمحلال الذي حاق بالإمبراطورية وهو استرجاع القبائل الباسكية لنفوذها في ق الثامن، تمت عملية توحيد القبائل حيث ظهر نوع من التنظيم السياسي الممنهج الذي اتخذ بنية محددة ابتداءً من القرن الحادي عشر.

تحولت الأراضي الباسكية إلى مملكة في ق19 لما أختار النبلاء إينيكُّو مَلْكاً (824–852) وهو من مملكة أريتسا التي تم استبدالها بمملكة خيمونس بزعامة سانتشو كارسيس كأول ملك (905–925)، تجدر الإشارة أَنّ سانتشو الثالث أكبر (1035–1004) لَمْ يضم إلى مملكته المناطق الباسكية بل امتد نفوذه إلى غالبية البلاد المسيحية في كل إسبانيا.

---

[1] كارلتون،اس كون وإدوارد، أ هنت، السلالات البشرية الحالية، تر: محمد السعيد غلاب، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،1975، ص ص 96–97 .

طرأت تحولات على هذه المملكة؛ فبين 1441م و 1512م تعرضت إلى أزمات تجلت في مواجهات عنيفة بين الموالين لأمير فيينا (بومنتيس) والموالين لخوان دي أراكون (أرامنتس) والتي انتهت بحلول الاحتلال القشتالي لها: ففي سنة 1512م ثم احتلال نابار الاسبانية من طرف فيرناندو الكاثوليكي لتصبح جزء من مملكة قشتالة، لم تستطع مملكة نابارا الحفاظ سوى على الجزء الشمالي من المملكة الموجودة في البيرينيه،بهينفاورا أو (نافارا السفلى) التي نقلت إليه مركزها نهائياً إلى فرنسا سنة 1620م [1].

إضافة أَنّ Senche le Grand lll (1004م –1035) الذي تمت الإشارة إليه آنفا، قام بتوحيد أراضي" غاسكوني "Gascogne : لا بوردي (la bord) فيسكايا– ألافا (Alava-viscaya) – بازنافارا(Basse-Naverre) وأضيفت فيما بعد لاسول (Soule) وعلى مستوى شمال الباسك فقد فرض الحكم الإنجليزي سيطرته عليها لمدة ثلاثة قرون موالية، وذلك إثر الارتباط بين الأسر الحاكمة في كل من إنجلترا وشمال الإقليم، بزواج أليانور(Eleanor) مع الملك هنري الثاني (Henry ll) ملك إنجلترا 1512م حينها أضحت أراضي " لابورد" تحت الحكم الإنجليزي [2]. كما أَنّ أقاليم الباسك الثلاثة: فيسكايا، جيوزكوا ، ألافا خضعت لنفوذ مملكة قشتالة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، ومنح على إثرها الإقليم نظام los fueros توليفة من الحقوق المالية والإدارية تحت سيطرة الأرستقراطية، وهو استثناء منح لهذا الإقليم.

من جهة مملكة نافارا فقد خضعت للحكم الإسباني 1512م وإن كانت قد احتفظت بوضع دستوري مستقل، كما تمتعت كذلك المقاطعات الباسكية بنوع من الاستقلالية خلال القرن الثامن عشر، وفي تلك الفترة عرف الإقليم انتعاشا اقتصاديا كبيراً.

---

[1] رامون زايو وميكيل أيوصو: مرجع سبق ذكره ، ص 10 .

[2] حنان بن عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره ، ص 161.

يبدو أن نظام fueros لم يلبث حتى قامت الحكومة المركزية في ق18 بإلغائه في الإقليم حتى عوضته بنظام خاص من الحكم الذاتي يسمى (Economico concierto) الذي تم رفضه، ما أدى لحدوث توتر بين الحكومة والإقليم.

في ظل إزدياد النفوذ الاقتصادي (في مجال الصناعي تحديداً) الذي شهده الإقليم، سعت الحكومة الإسبانية إلى حصص الضريبة في الإقليم ونافارا وإن كانت أقل بكثير من الضرائب المدفوعة على مستوى بقية الأقاليم الإسبانية الأمر الذي أثار سخط الباسكيين وكان ذلك – بحسب المؤرخين – النواة الأولى لبروز القومية الباسكية وكرس ذلك نموا مطرداً للأحزاب القومية بدءً بالحزب القومي الباسكي (PNN) [1]

حدثت تغيرات في القرن السادس عشر والتاسع عشر حيث شهدت بلاد الباسك تحولاً كبيراً من مجتمع فيودالي شبيه بنماذج العصور الوسطى إلى مجتمع آخر يعتمد على النظام الرأسمالي.

تكونت معه قوى جديدة ظهرت في بداية القرن 17م وتسببت في بزوغ مشاكل سياسية واجتماعية:

أولاً: الجوانب السياسية ➢ تميزت العقود الموالية لفوز البوربون في حرب الشتات الإسبانية بتأثير مباشر على الاقتصاد بتخفيض جزء مهم من الامتيازات الضريبية ونشاط التجارة الحرة الذي كان يستفيد منه الاقتصاد الباسكي، وعقب ذلك تحديداً في أواخر ق18 تم نقل الحواجز الجمركية من بويرتوسيكو إلى الجبال المحايدة لقشتالة و الساحل وجبال البيرينيه مما منع دخول السلع بكل حرية وربما هذا الإجراء السياسي ترسخ بصفة نهائية بعد الحرب الكارليسية ؛ فقد كانت ميزة ق 19 هي فقدان الشعب الباسكي المتزايد لبعض حقوقه بسب آثار الحرب الكارليسية الأولى والثانية وتفاقم الأزمة السياسية .

أ –الحرب الكارليسية الاولى :

[1] نفسه،ص162.

ابتدأت سنة 1833 بسبب صدام بين الموالين لعرش اسبانيا ومؤيدي اسانيلا الثانية (الليبراليين) وأتباع دون كارلوس (كارليستين) يعني إصدام المذاهب (التقليديين والليبراليين) وانتهى الصراع المسلح بهزيمة الكارليستيين (جناح بيركارة) 1839م وانضمام المدن إلى سلطة الدستور وإلغاء قانون مدينة نابارا وحذف الصلاحية التشريعية والقضائية وتعويضها بالقانون المتفق عليه 1841م وتتحول بذلك نابارا مجرد مقاطعة تابعة للدولة الليبرالية، رفضت بهذه المقاطعات الباسكونداغا (أوسكادي حالياً) وضعية المقاطعة التابعة ليفرض بذلك نظام التناوب .

ب –الحرب الكارليسية الثانية:

نشبت في السبعينات من ق 19، زيادة على الصراع بين الكارليسيين والليبراليين كان هناك سخط شعبي حيال الدولة الليبرالية، ورغم نهاية الصراع تم إلغاء نظام الدوائر والمقاطعات الحضرية، هذه الأخيرة قد استعادت أهميتها كمسؤولة على جمع الضرائب بين المناطق الباسكية والدولة.

ثانيا: الجوانب الاجتماعية والاقتصادية

أما على امتداد القرنين 18 و 19 فقد وقع تغيير كبير في القطاعات الاقتصادية كالصيد، الملاحة، بناء السفن، التجارة الدولية، صناعة الصلب والفلاحة، عملياً كانت بلباو أنذاك في ق17 قد تحول إلى أهم ميناء في كل الواجهة الكنطبرية، إضافة انه لوصول أفكار عصر الأنوار في ق18 كان له دور في دعم هذا التقدم الاقتصادي[1].

المطلب الثاني : العامل الثقافي لإقليم الباسك

تظهر جلياً النزعة القومية في روح شعب الباسك من خلال تمسكه بثقافته رغم تواجده بين ثقافتين مختلفتين؛ الثقافة الاسبانية والثقافة الفرنسية وهذا ما يضطره للدخول في صراع لأجل الحفاظ على مقومات أمته يقول في هذا الصدد صامويل هنتغتون بعد الحرب

[1] رامون زايو وميكيل أيوصو، مرجع سبق ذكره،ص ص 11–12.

الباردة: " الصراع في العالم الجديد لن يكون إيديولوجياً أو اقتصادياً بل سيكون الانقسام الكبير بين البشر والمصدر الغالب للصراع ثقافياً". فبعد انتهاء الحرب الباردة سينشب الصراع بين الحضارات مع حلول النظام العالمي الجديد" فما يهم الناس ليس هو الإيديولوجية أو المصالح الاقتصادية بل الإيمان والأسرة والدم والعقيدة، فذلك هو ما يجمع الناس وما يحاربون من أجله ويموتون في سبيله » [1].

إنّ الثقافة الباسكية وبكل مقوماتها ومحدادتها هي رمز للهوية ومنه الحفاظ على البقاء. لأجل هذا اقترح De la sota شعاراً يبين مدى موجات القلق حول مستقبل هوية الباسك « دع روح الباسك لا تموت » ، وحسب الكاهن Laurent Apestegy روح الشعب تتكون من قناعاتهم، والأفكار الاجتماعية والتقاليد وقبل كل شيء ردود الفعل الثابتة في جميع ظروف الحياة وذكرها في(Larronde، a 26,2005) [2].

لتوضيح أكثر لخصوصيات الثقافة الباسكية سنتناول أهم مقوماتها: اللغة والأدب والعادات والتقاليد والفنون الباسكية.إنّ اللغة هي رمز قوة الأمة؛ فحسب Gurr: بالنسبة للمجموعات التي لها لغة هي متميزة عن الأغلبية الثقافية، فإن الحفاظ على لغة الأقلية هو مفتاح الحفاظ على قدرة الجماعة والبقاء ككيان اجتماعي ». [3] ومن جهة خصوصيات لغة الباسك أثارت اهتماما كبيراً في Euskera فهي واحدة من أقدم اللغات في أوربا، ومنذ حوالي 700سنة كانت أراضي الباسك تابعة لممالك نافارا وانجلترا، ومن القرن 16 تم تقسيم كامل الأراضي بين اسبانيا وفرنسا وهذه هي القصة التي قسمت اللغة في منتصف ق20 أصبح عدد من القاعديين يدركون أن عدم وجود نموذج لغوي

---

[1] صامويل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء صنع النظام العالمي،تر: طلعت شايب، ط2،دار سطور ،القاهرة،1999،ص10.

[2] I gor Ahedo Gurrutxaya , El viajie de la identidad y el nacionalismo vasco en Ipparalde(1789-2005) (vol1 , servicio central de publicaciones del Gobierno vasco,vitoria,2006,p261

[3] Graham M.Stubbs.B.A , op-ct,p47

موحد في حد ذاته يمثل خطراً على اللغة، وأنّ المعايير الأساسية ضرورية لخلق حد أدنى من الوحدة على حد تعبير الكاهن جوانيس ليزاراغا Joanes leizarraga)" البحث عن لغة قياسية في كل من جبال البرانس الشمالية[1].

وربما هذا ما أراد أيضاً luis Michelena توضيحه في قوله : « الغموض الحقيقي للباسك هو الحفاظ وليس أصل اللغة » [2].

لهذه اللغة جذور حيث تعتبرها بعض النظريات أنها التعبير الحي للغة الإيبيرية القديمة ولكن يؤكدون استحالة إثبات هذه الصلة بين اللغتين لأن ما تبقى من السجلات المكتوبة باللغة الإيبرية قليل جداً لا يتعدى بضعة نقوش، وقد لاح ضوء في ظلمات هذا الماضي السحيق عندما استخرجت زهرية من حفائر منذ سنوات قليلة، وكان الأصيص "الزهرية" مزيناً برسم لمعركة بحرية كتبت في أسفله كلمتان إيبريتان، ولما أستعين بلغة الباسك على تفسيرهما قيل أنه يمكن ترجمتهما بـ : " صيحة المعركة ".

ويصرح الباسك بأنّ لغتهم من القدم في جنة عدن ويرون أن الشيطان عندما رغب في التحدث بلغتهم أمضى سبع سنوات وهو يحاول تعلمها ولكنه تخلى عن محاولته واكتشف أنه لم يتعلم سوى ثلاث كلمات فقط، فهناك خمسة وعشرون (25) لهجة، وقواعدها بالغة الصعوبة، وهناك كلمات تبدو وكأن حروفها قد اختلط بعضها ببعض بطريقة عفوية مثل أسماء الأسر: زوما لكار يجوي(zumalcarregui)– زوزا جوليتيا(zuzagoitia)– جويكوتشيا (Goicoechea)– أَزْبِيلْكُوتاَ (Azpil koeta) [3] .

هناك جهود للحفاظ على لغة الأُمَّةَ الباسكية أبرزها عمل cobre (1997،122، 187،193) " الأنشطة المنظمة لتعزيز تعلم اللغة ".إذ يعتبر نظام التعليم واحد من

---

[1] Garabide Elkartea,la standar disation de la langue ,la recuperacion de la langue basque II,EsKoriatza,2010,p19,21,23.

[2] Gatti,I razuzta and utz de Albeniz , Basque structures,institutions, Society and Coutemporary.centre de estudios sobre la identided colectiva,ed2,pais vasco,2005,p146.

[3] دوروثي لودر، إسبانيا شعبها وأرضها، تر: طارق فودة، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1965م، ص197.

العوامل الرئيسية في تعلم اللغة (Moreno Cabrera 2008 ، 50.51) ويلعب دوراً هاماً في الجهود المبذولة لتطبيع لغة الباسك، فقد وضعت اليونيسكو (5،2003) نظام التعليم ضمن مجالات العمل ذات الأولوية لاستعادة اللغات المهددة بالانقراض والتعليم في الباسك يلبي نوعين من المتكلمين:

1–أولئك الذين لديهم اللغة الأولى (L1): يواصلون استكمال التنشئة الاجتماعية اللغوية في المدرسة.

2– أولئك الذين لديهم لغة أخرى: يكتسبون اللغة الثانية في المدرسة. شمل التعليم فئة أخرى، تعليم الكبار كانت هناك دورات للبالغين، وبرنامج Mintzapraktika يسعى لتوفير التعليم والتنشئة الاجتماعية لأولئك الذين لم يتعلموا سابقاً (الباسك ولغته الثانية)، حيث في BAC وفي 2012م أخذ 32.739 شخصاً دورات (Euskararen Aholku Batzordea) وآخرون،b،C 2014) أي 2.5% من المتحدثين غير الباسك وتبع البرنامج من قبل 2.840 شخص في باك وفي نافار في 2008 ويعتقد الباسك أنّ البرنامج كان مفيداً لهم: التحدث أكثر في الباسك (85%) للحفاظ على ما تعلموه (77%)، لتحسين مستوى الباسك (74%) لزيادة رغبتهم في استخدام لغة الباسك(62%) وتكوين صداقات (50%)...

إضافة لأهمية التعليم هناك نظام الأسرة وهي اللغة التي تعلمها في السنوات الثلاث الأولى من الحياة في البيئة الأسرية، وتعتبر الأكثر أهمية عند قياس حيوية اللغة (fishman1991,UNESCO :9,2003) فعندما يكون كلا الوالدين ثنائي اللغة92% من الناس في مجتمع الباسك المستقل و 83% في نافار و80% في شمال الباسك يكتسب الباسك اللغة الأولى، وعندما يكون أحد الوالدين ثنائي اللغة فقط، ينتقل الباسك إلى36% في باك 29% في نافارا و15% في الباسك الشمالي(Hizkumtza a

politikarako,sailbuardétza,2013,29)[1]. ومنه يتمتع الباسك المستقل بلغتان رسميتان: الباسكية والإسبانية واستناداً إلى أخر التقديرات، تبلغ نسبة سكان الباسك ثنائي اللغة 32 في المائة (700.000 نسمة تقريباً).

لكن هذا لا يقلل من شأن وقيمة اللغة الباسكية، حيثّ أصدرت حكومة الإقليم خلال السنوات العشرين الماضية الكثير من النصوص بشأن التخطيط اللغوي وبسياساتها اللغوية، ومن بين أهم هذه الوثائق الحظة العامة لتعزيز الباسكية(إي بي بي إين، 1999) والمقالة القصيرة نحو اتفاق جديد(2009) وهما وثيقتان وضعتا أسس السياسة اللغوية في بداية ق21، وبعد صدور قانون التوحيد اللغوي (1982) طور العديد من جوانب الثنائية اللغوية أكثر بما في ذلك قطاع الأعمال التجارية الخاصة [2].

يعيش الإقليم معاناة فمنذ نهاية القرن 19 تاريخ الإقليم هو تاريخ المعاناة والجهود المبذولة للحفاظ على الثراء الثقافي واللغوي الذي تم نقله لعدة قرون وهذا حسب ما يشير له بيكر C.Baker (2001،73) " عندما يفقد مجتمع لغته وثقافته يمكن أَن تكون المعاناة هذه أحد أعراض الظلم الاجتماعي تجاه ذلك المجتمع (كان ذلك واضحاً بشكل خاص في اسبانيا خلال عصر فرانكو).وأخيراً يوضح Fishman (1991) العلاقة بين الثقافة واللغة هناك ثلاث روابط(ملخصة في C.Baker،74،75).

1⋖فهرسة اللغة ثقافة، ونمت معاً بالتالي اللغة هي التي تعبر عن أفضل (ثقافة المفردات الخاصة بهم، التعبيرات الاصطلاحية والاستعارات هي التي تعبر عن أفضل ثقافة على المستوى المعرفي والعاطفي).

---

[1] I naki Martinez de luna and others ,Socioliguistic eveolution of Basque language(1981-2011)-digital edition :www-soziolinuistika eus/ bilakaera 1981-2011,pp :7,8,9 .

[2] خوسي إكسترا وكوتلاي ياغمور, أوربا الغنية بلغاتها: توجهات في السياسات والممارسات من أجل التعددية اللغوية في أوربا, المجلس الثقافي البريطاني، بريطانيا، 2012، ص ص 208–209.

2➢ اللغة ترمز للثقافة ووضع تلك الثقافة مثال: لم يكن ينظر جيداً إلى التحدث باللغة الألمانية في الو.م .أ خلال الحرب العالمية الثانية لأنها ترمز للعدو.

3➢ يتم إنشاء الثقافة جزئياً من خلال لغتها [1].

هناك مَا يهدد بقاء اللغة الباسكية ويعرضها للخطر؛ وهو هاجس الهجرة هذه الأخيرة، التي تنتقل بدافع الانتعاش الاقتصادي، وللتصنيع تأثير يجعل المجموعة اللغوية المحلية تتحول إلى أقلية في إقليمها ذاته عن طريق الهجرة إلى الداخل، لأن المركز الصناعي الجديد يجذب أعداداً ضخمة والهجرة لأقليم الباسك أثناء دكتاتورية فرانكو قد وصفها " روتكس" (Roaetsce,1991.) باعتبارها " أحد إجراءات محو البسكنة" ونتيجة للهجرة الكثيفة لم يعد هناك موطن وحيد اللغة للغة الباسك، فهناك أكثر من مليون مهاجر من مناطق مختلفة من اسبانيا قد وجدوا عملاً في ترسانات السفن والمصانع الأخرى في المنطقة المنتعشة اقتصادياً [2].

وهكذا يمكن للهجرة أن تكون عاملاً يولد مشاعر التهديد ضد بقاء المجموعة الأصلية نفسها وبحسب Esteva Fabregat" تظهر إمكانية وجود مدونة إثنية نتيجة لحركات الهجرة لأنها تخلق فكرة الأمن والاستقرار» (E.F.1984.38) [3].

الأدب والفن الباسكي:يتميز الأدب الباسكي بالتنوع الثقافي لدى الشباب الباسكي وهذا بهدف تنمية القومية ومن ثم الحفاظ على البقاء.

---

[1] Teresa Fernandez-Ulloa , la educacion bilingue en el pais vasco :problemas y Retos-California,pub 2013 ver 06/ 02/2018 en23 :02,In http://:www.Csub.edu/~ t Fernandez-ULLoa/EDVCACION/educacion%20bil.pdf.

[2] فلوريال كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص ص 210، 212،213

[3] Cristina Blanco Fernandez de valderrama , I nmigracion e identidad colective-Reflescion sobre la identidad en el pais vasco ver14/02/ 2018,en 09 :47 , in http://ddd-uab – Cat/pup/ papers/02102862 n 43/02102862 n43,p41,pdf

ولتدعيم جيل جديد من الفنانين الشباب في الفنون المرئية أسست الحكومة الباسكية منذ سنة 1981م جائزة سنوية ثم تحولت بعد ذلك لجائزة كل سنتين أطلق عليها اسم فننا «Premios Gure Artea ».كذلك هناك فنانون في ميدان النحت والنحت على الحجر الذين سبقوا عصر النهضة أبرزهم: خوان آنتشييط، كذلك فرانتسكو دوريوٌّ (1868–1940م) أبدع أعمالاً ذات ميول عصري رمزي واضح مثل: أرييغا المتواجد بجانب متحف الفنون الجميلة في بلباو.

أيضاً بالنسبة للرسم الباسكي وبالخصوص في بداية ق20 عندما ظهر جيل من الرسامين الذين كان لهم حضور مكثف في الحركات الأوربية.

– داريودي ريغويوس(1857–1913) كان له تأثير بالمذهب التعبيري التصويري ونفس التأثير كان له في الاتجاه الانطباعي التنقيطي.

– أدولفو غيّيار كان ينتمي للاتجاه الانطباعي، جزء هام من أعماله يصف مجتمع بلباو.

– والفنان الأكثر سمعة هو إغناثيو صولوغا(1870–1936) لم يصنف إلى أي اتجاه فني، لكنه لعب دوراً مهماً، حيث ترك بصماته الخاصة في الرسم أثناء ق XIX ولدى الانطباعيين إلى درجة انه شكل اتجاهاً أكاديميًا ذو صبغة تعبيرية ودرامية [1].

كما يبرز الأدب الشعبي الباسكي في مجموعة ضخمة من القصص والقصائد من الشعر الشعبي (Cantares épicos) نذكر منها: قصيدة " أسطورة إقليم الباسك" لـ J. Barbier وقصيدة شعب إقليم الباسك لـ :j.D.J. Sababerry وقصيدة حصاد الجدة لـ:Mayi Aritzia، يتم عرض هذه القصائد (أغاني) خلال موسم الحصاد والأعياد.

يعتبر Saint michehle viaisc أول من دون كتاب بعنوان: اللغة الباسكية الأولى vascomun primitiae linguae خلال 1545م، كان لهذا الكتاب دور كبير في نقل

[1] رامون زايو وميكيل أيوصو، ، مرجع سبق ذكره، ص43.

الأدب الباسكي من إطاره الشفهي إلى إطاره الكتابي، وخلال القرنين 17 و 18 تم تأليف كتاب أخر لا يقل أهمية عنه عنوانه: " بعد" (Guero) خلال 1643 (pedro de ascular).

في فترة 1900م إلى 1963م شهد الأدب الباسكي تطوراً ملحوظاً على يد شخصيات، أبرزها Salbino de Arana و Goiri، سابينو الذي نشر كتاب" من أجل استقلال بيسكايا viscaya a pore su independenceil) سنة 1892 وآخر: القواعد الأساسية للغة الباسكية، 1888م ...

العادات والتقاليد الباسكية: لإقليم الباسك عادات وتقاليد متنوعة تكشف خصوصيته الثقافية.

فمن حيث الأعياد: تتعدد صور الاحتفال، نجد الكرنفال(Carnaval) أهمها كرنفال الذي يضم موكباً من الأطفال والشباب في لباس تتكري احمر يحمل كل منهم سوطاً ليتم الاستعراض عن طريق ألعاب بهلوانية.

والأعياد عديدة أبرزها: الاحتفال بشهر ماي من كل سنة ويتم اختيار ملكة الشهر وفي منطقة Saint-Jean وخلال فصل الصيف يُقام احتفال كبير كل عام تجسيداً لعادات الأجداد الذين كانوا يُقدسون الشمس، الماء، النباتات، الليل، النهار للدفاع عن جنسهم النقي[1].

أما الألعاب الأكثر شهرة في المنطقة هي لعبة البيلوتا، وهي تشبه التنس إلى حد ما وإن كانت أسرع منه ويلعبها عادة أربعة لاعبين: اثنان في كل جانب يثبت كل منهم في رسغه سلة طويلة مقوسة يلتقط بها الكرة ويقذفها في جوانب الفرونتون وهو ملعب ذو أرضية من الإسمنت[2].

---

[1] حنان بن عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره،ص ص 62-63-64.

[2] دوروثي لودر، مرجع سبق ذكره، ص ص 198-199.

ومن خلال ما سبق تتضح المعالم الثقافية لإقليم الباسك وسعيه للحفاظ على هذا الإرث الحضاري، ومنهُ تعريف لهويته.

فالهوية هي كيفية تعريف الفرد لذاته، وتوجد عند كل إنسان " خارطة إدراكية " أي صورة عن العالم المحيط به بكل ما فيه، والهوية هي صورة الفرد عن موقعه على هذه الخارطة وعلاقته مع كل أجزائها.

والنظام العالمي اليوم يقوم على نظام " الدولة القومية " أي أنّ الهوية التي يتفاعل حسبها أولئك الذين يريدون الشؤون العالمية هي هوية الانتماء إلى دولة قومية[1].

وللهوية دور بارز في تحقيق مصالح المجتمع، لذا نجد أن الإقليم متمسك بكل مقومات التي من شأنها أن تُعبر عن هويته (كما سبق ذكرها).

توجد بعض النظريات التي تدعم وتنادي بأهمية الهوية والثقافة أهمها:

1-النظرية البنائية: يعتقد البنائيون أن الأبنية المعيارية أو الفكرية على نفس القدرة من الأهمية كالأبنية المادية، فهم يجادلون بأنّ النظم المشتركة للأفكار والمعتقدات والقيم تتمتع بخصائص بنيوية وأنها تؤثر تأثيرًا قوياً على العمل الاجتماعي والسياسي.

يشدد البنائيون أيضاً على أهمية الأبنية المعيارية و الفكرية لأنها تشكل الهويات الاجتماعية للفاعلين السياسيين.

هذا ما قالهُ: الكسندر وندت فإن الهويات هي أساس المصالح (Wendt,1992,398) [2].

2- المقاربة النشوئية: حسب البروفيسور " فانهانن" (Vanhanen) يقول أن المقاربة النشوئية هي مشروع بحثي صُمَّم لاختبار أن مزيدًا من السكان المقسمين إثنيا والذين

---

[1] شريف كنعانة، دراسات في الثقافة والتُراث والهوية، مؤسسة ناديا، القاهرة، 2010، ص386.

[2] سكوت بورتشيل وآخرون، نظريات العلاقات الدولية،تر: محمد صفار،ط1، مركز القومي للترجمة، القاهرة،2014 ، ص ص331،332.

يختلفون عن بعضهم البعض من حيثُ القيم والثقافة ترتفع عندهم إحتمالات النزاع بينهم، وأن الدول المتجانسة هي أكثر استقرارًا لأن المواطنين يشعرون بأنهم جزء من مجموعة الكل.

وحسب مجموعة من الباحثين: غريتس شيلز(Greetz shells) و" والكركونور" (Walker conner):فإن أساس النزاع هو الاختلاف في الهوية الذي يتجلى في ملازمة " نحن ضدهم " ويؤكد على أهمية عمق وقوة المشاعر في النزاع الإثني والذي يولد بالضرورة وعي الجماعات الأخرى ويعمق الإحساس بوجود الحدود [1].

3- المقاربة الإثنو واقعية: نشأ الإثنو واقعيون الذين اعتمدوا في تحليلهم لظاهرة النزاعات الإثنية على مداخل الدولة باعتبارها الجماعة الإثنية هي وحدة التحليل واعتمدوا في تفسيرهم لأسباب النزاع الإثني على ظاهرة الخوف أو القلق وعلاقته بحدوث النزاع.

وحسب " إفيدلاك" (David Lake) هناك نوعين من القلق يمكن تحديدهما:[2]

أ-الخوف من التعرض للهيمنة الثقافية.

ب- القلق على حياة الفرد وسلامته الجسدية، حيثُ أن هذا القلق له ما يُبررهُ إذا كانت هناك أقلية تمثل هدفاً للتمييز وانتهاك الحقوق من قبل الجماعات الأخرى.

---

[1] سمية بلعيد، النزاعات الإثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها-جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجاً، مرجع سبق ذكره، ص26.

[2] نفسه، ص34.

الفصل الثاني:

الضغوطات الداخلية على إقليم الباسك

المبحث الأول: السياسات الوطنية الإسبانية في مواجهة إقليم الباسك.

مر الاقليم بفترات جد صعبة تمثلت في سياسات ممنهجة ضدهم من قبل الدولة الإسبانية في كلا نظامي الحكومة المركزية؛ خلال فترة النظام المركزي والنظام الديمقراطي.إذ شكلت عائقاً أمام تطلعات الإقليم نحو الاستقلال.

المطلب الأول: السياسة الاسبانية أثناء حكم فرانكو 1975/1936:

تميزت هذه الفترة بحكم دكتاتوري بقيادة **Franco**، هذا الأخير وأثناء حُكمه قام بممارسات قاسية عانى منها شعب الباسك؛ خصوصاً بعد توليه الحكم في فترة إنتهاء الحرب الأهلية " 1936-1939".

نبذة مختصرة عن الحرب الأهلية:

تشكلت الجمهورية الثانية دون أن تراق نقطة دمٍ واحدة وأطلق عليها " **البنت الجميلة**" " **la nina bonita** " ولكن عندما كبرت غاضت جاذبيتها وعرفت رفاق السوء؛ تغلغلت العناصر الراديكالية المتطرفة كالفوضويين والشيوعيين والوطنيين المتعصبين في **قتالونيا** في صفوف المفكرين الأحرار الذين شكلوا الجمهورية الأولى.بدأ التذمر في يوليو 1936م، ثارت القوات المعسكرة في عملية مراكش شمال إفريقيا ضد حكومة الجمهورية واخترق الجنود المغاربة بقيادة ضباطهم الإسبان مضيق جبل طارق لينزلوا بجنوب اسبانيا معلنين الثورة هكذا بدأت الحرب الأهلية بقيادة فرانكو. تحالف الباسكيون المتعصبين للمذهب الكاثوليكي مع الفوضويين الذين يعارضون جميع الأديان[1].

وسقط الحكم الجمهوري عام 1939م نتيجة مساعدة الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية لحركة فرانكو وانتهت الحرب الأهلية في 28 مارس 1939 عندما استولت القوات الفاشية على العاصمة مدريد وبلغ عدد ضحاياها أكثر من مليون قتيل.

[1] دوروثي لودر, إسبانيا شعبها وأرضها,مرجع سبق ذكره ,ص ص 141-142.

وفي 31مارس 1947م اعلن الجنرال فرانكو أن اسبانيا ستعود ملكية وعين نفسه رئيساً عليها وحكم البلاد حكماً دكتاتورياً مطلقاً بتأييد من حزب الكتائب الإسباني الفاشي " الفالانج " [1].

ظل فرانكو مُصرًا على إبقاء الإقليم تابعاً لإسبانيا؛ فكان شعار الجيش الاسباني منذ عهد فرانكو": يفضل اسبانيا حمراء على اسبانيا مجزأة» [2].

لقد كانت مدينة Gernika تاريخياً وسياسياً هي العاصمة لعدة قرون (في وسكادي) أصبحت مصدر إلهام ونقطة محورية للتطرف من قبل الحكومة الإسبانية خلال الحرب الأهلية.

لهذا يُشير Robin Evans:« على أنه تجسيد وحشية ضد الشعب العادي للدولة الإسبانية والدعوة إلى اليسار للدفاع عن شعبها» بالنسبة لكثير من المؤرخين فإن تدمير جرنيكا (Gernika) هو أهم حدث [3]

ففي 1937 قام عدد من الطيارين الألمان- الذين يدّعون ولائهم لفرانكو– بهجوم جوي دمر Gernika وكادوا يمحونها من الوجود، وهي تلك المدينة القديمة التي كان يتجمع فيها ممثلوا الباسك في هيئة مجلس الشورى تحت شجرة البلوطُ المقدسة طيلة عدة قرون [4].

كذلك من بين السياسات القمعية الفرانكونية تجاه منطقة الباسك تجريده من عدة حقوق وامتيازات كان يتمتع بها أثناء عهد الجمهورية، كان قد سبق منحهُ مع مقاطعة قتالونيا استقلالاً إدارياً، الذي أُدرج للمرة الأولى في نص دستوري عام 1931م. وفي عام 1936م عهد اندلاع الثورة الأهلية في اسبانيا، حرمهم فرانكو من كل الامتيازات التي سبق حصولهم عليها[5].

([1])عبد الوهاب الكيلالي، موسوعة السياسة، ج1، ط4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1999،ص163.

([2])محمد علي المداح، مشكلة الباسك بين الاستقلال والحكم الذاتي. مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات الإستراتيجية، القاهرة، 1980م، ص159.

[3] Greham M .Stubbs,B.A ,A comparative analysis of The intractability of The Basque conflict, op-ct p25.

[4] دوروثي لودر، مرجع سبق ذكره، ص198.

[5] محمد علي المداح، مرجع سبق ذكره، ص155.

لم يسلم من نظام فرانكو حتىّ المدنيون؛ ففي 31 مارس1937م قام **هتلر الألماني** condor **legion** الذي دعم نشاط المتمردين التابعين لفرانكو بقصف قرية **دورانجو** Durango الباسكية وهي المرة الأولى في تاريخ الحروب التي تعرض فيها السكان المدنيون للهجوم جوا، وبعد أقل من شهر واحد في 26 أفريل 1937م ضرب condor الفيلق منطقة **الباسك** مرة أخرى عندما نفذ حملته لقصف **غيوزكوا** ودمر الهجوم الذي أستمر ثلاث ساعات المدينة وقتل 1.654 مدنياً في يونيو 1937/19م سقطت بلباو وهُزم الباسك وقد استسلمت الجمهورية الاسبانية نفسها لقوات الفرانكو1939م.

هكذا انتهت تجربة الباسك القصيرة في الحكم الذاتي، وبدأت للعديد من الباسك حياة جديدة في المنفى.

كان هدف فرانكو وقت العمل العنيف الذي قام به ضد الباسك والقوميين الباسك هو تدميرهم تماماً فمع انتهاء الحرب أَعْدَمَتْ فِرْقَ الموتِ التابعة لفرانكو 21780 من الباسك، كانت فورة القتل مُرَوِعَةَ وواسعة الانتشار، أما الذين لم يقتلوا على الفور فأحيلوا على محاكم الحرب الاسبانية، التي تديرها " الجبهة " الحزب الفاشي الاسباني.

كما عانى الباسك التمييز الجماعي؛ وبحسب تعريف **Gurr:**" أنهُ قيود سياسية وثقافية تُفرض على أفراد الأقليات الإثنية والدينية وغيرها من الطوائف على نحو غير مشروع وذلك كمسألة سياسية وممارسة اجتماعية» كان الجيش الاسباني في ذلك الحين يُعارض تماماً تفكك اسبانيا، لأن الحكومة المركزية تحتاج المنطقة التي تعد واحدة من أكثر المناطق ازدهارًا في البلاد ومن أجل التنمية الاقتصادية، قال الجنرال Gilyuste الحاكم

العسكري الاسباني في آلافا: « هؤلاء الانفصاليون البغيض لا يستحقون أن يكون لهم وطن، ويجب أن تُدمر القومية الباسكية وتُداس تحت الأرض التي تنفجر بجذورها» ([1]).

[1] Michaelt .weaver :protest,Radicalismo and militancy in spain 's Basque country : The Basque nationalist movement and The persistent struggle of ETA ,op-ct,pp32-34-35.

كان الهدف واضح فبعد صعود **Francisco Bahamonde** * (1892–1975) إلى السلطة أصبح هدفهُ محو كل علامات ثقافة الباسك المميزة، وسعييه لتخليص البلاد من أي معارضة، فالباسك صُورت على أنها انفصالية تهدف لإلحاق الضرر بالسلطة والثقافة الإسبانية.

تم نبذ القوميين الباسكيين إلى حد أنهم طُردوا من المدارس والكنائس والشركات والمصانع واستخدمت اسبانيا كل الآليات المتاحة لتذويب قوة الباسك الثقافية، وبما أن الوطنية الباسكية تنص بشكل كبير على الهوية اللغوية للعرق والثقافة والأمة، وضع الجنرال فرانكو تأكيدًا خاصاً على تدمير هذه الركيزة[1] .

ومنه اعتبر فرانكو« أن السياسات الخاصة بالهوية تُعدّ خطرًا على وحدة الدولة، لذا لجأ إلى قمع الهويات المتنوعة وتجاهلها على المستوى السياسي» شهد الإقليم الكثير من السياسات القمعية على مستوى مقاطعاته، فقد تمتعت الحكومة بواسع الصلاحيات، غير أن سيطرتها لم تتعد مقاطعتي: " **بيسكايا**" و" **جيبوزكوا**"، ذلك أن كلا من آلافا ونافار كانت– منذ البداية– في قبضة السلطة العسكرية لفرانكو.

أقدم " فرانكو" على إصدار قانون في 23 جوان 1937م يتم بموجبه:

– إلغاء الحكم الذاتي في إقليم الباسك وكذا حظر استخدام وممارسة اللغة الباسكية.– تجميد نشاطات الأحزاب السياسية الباسكية؛ وفي مقدمتها الحزب القومي الباسكي (PNV) وحرمانها من جميع الامتيازات التي سبق حصولها عليها مع تبني الحزبية خلال 1939م بقيادة من حزب الفلانج (**las Falanges**) أي حزب الكتائب المسلحة[2].

---

[1] Graham M .Stubbs.BA op-ct,p26.

[2] حنان عبد الرزاق، تأثير المأزق الأمني الإثني على الاستقرار الداخلي للدولة، دراسة للنموذج الإسباني منذ 1936، مرجع سبق ذكره،ص203.

* فرانكو باهاموند فرانسيسكو، Franco B.F (1892–1975): جنرال ورجل دولة اسباني، تخرج من مدرسة المشاة في طليطلة(1910) وقد رقي الى رتبة جنرال (1925م) وبعد عودته لإسبانيا (1927) عُيّن رئيسا لمدرسة سرغسطة الحربية. مع مجيء حكومة الجبهة الشعبية(التي خلفت حكومة اليمين) أبعد فرانكو من مدريد ونقل إلى جزر الكاناري وهناك هيأ لانقلاب 1936 الذي أطلق شرارة حرب أهلية مدمرة استمرت حتى 1939، على أثر انقلاب 1936 عين قائد عاماً للجيش

ولحزب الفلانج أعضاء وهم من الأحرار البرلمانيين، وكان أشهر رجالاتها، زعيمها josey Antoniaالذي أبدى نوعاً من التعاطف على الإشتراكيين وكان كرهه لليمين المحافظ واضحاً، خاصَّة بعد الانتخابات التي جرت عام 1936م، ولم يُشارك أعضاء منظمة الفلانج الذين حصلوا على مساعدات مالية " **خوسي أنتونيو**" في نظرته لكل من الاشتراكيين واليمين، كما أنَ أعضاء الإتحاد الفيدرالي الإسباني المستقل– الذين آمنوا بالعنف الثوري والإرهاب المضاد– لم يوافقوه في نظرته تلك.

فأعلن في آذار عن حل هذه المنظمة، أعتقل معظم قادتها ومن بينهم " **خوسي أنتونيو**" وأعدم في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة 1936م[1].

انعكس الحزب سلباً على الدولة الاسبانية وتفاقم الوضع؛ فمع ظهور هذا الحزب غرقت إسبانيا في فوضى الأمن، فكان القاضي الذي يُصدر عقوبة بأحد الفلانج يَذْهَبُ ضحية حُكْمِهِ إذ توجد جثته في الطريق بعد أيام قليلة[2].

حاول فرانكو القضاء على كل محاولة بإمكانها أن تزيد من قوة الباسك لأن هذا حسبهُ – يشكل خطرًا على دولته، فقد أقدم على تصفية أعضاء الحكومة الديمقراطية الباسكية وعلى رأسها " أجيري" زعيم حزب الباسك القومي آنذاك على اعتقاد منهُ أنها حكومة لطالما كانت تهدد أمن واستقرار البلاد، كما أنها تَضُرُّ بأسطورة " الحرب الصليبية المقدسة" التي حاول فرانكو أنّ يُحققها في حربه ضد الجمهوريين.

هذا وفي ظل رفض الرئيس الباسكي" **أجيري** " لكل اقتراحات السلام، التي عرضها عليه المتمردون بواسطة الفاتيكان، أدرك مولا (**Mola**) عدم قدرته على مقاومة إقليم الباسك، الأمر الذي دفعهُ إلى تعزيز قواته في الأسبوع الأول من شهر أفريل 1937م بفرق من "

ورئيس للحكومة ،في 1936 استقر في مدريد (اثر هزيمة الجبهة الشعبية في الحرب الأهلية) وأصبح يلقب " الكوديو أي الزعيم والقائد الأعلى .

[1] بهاء الدين ماجد، كان التاريخية، مجلة دورية ، العدد الخامس، دار ناشري،2009 ،ص12.

[2] محمد مراد، أوربا من الثورة الفرنسية إلى العولمة، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2010، ص165.

الريكيتيس " أو (**السهام السوداء)** الإيطالية، حيثُّ كانت الوسيلة الوحيدة للانتصار والتقدم في نظر المتمردين.

وبالرغم من أنّ الغالبية العُظمى من الأكليروس الاسباني قامت بمساندة تمرد الجنرال " **فرانكو**" واصفة إياه بأنها: « حرب صليبية بطولية ضد الشيوعية الشيطانية، إيماناً منهم بأنهُ يمثل صحوة أمة كاثوليكية أصلية ضد الإلحاد»لكن وفي المقابل أعلن الأكليروس الباسكي ولاءه للحكومة الجمهورية، الأمر الذي أثار حفيظة الجنرال فرانكو[1].

هكذا تبدو السياسة الراديكالية الفرانكونية " قمعية " ضد الشعب الباسكي، خصوصاً أثناء فترة الحرب الأهلية والتي أتت على الأخضر واليابس.

يقول: " **إبراهام لنكولن:** " إن بيتاً منقسماً على نفسه لا يستطيع البقاء" وقد صدق القول على اسبانيا (الجمهوريين والثوار وعلى رأسهم فرانكو) [2].

لم تتوقف هذه السياسة الوحشية إلا بأشهر قليلة قبل وفات الجنرال فرانكو؛ ففي 1975م تعرضت اسبانيا لعزلة دبلوماسية لم تحدث منذ سنوات الأربعينات كان سببها إجراء عنيف أقدمت عليه الحكومة الاسبانية يوم 27 سبتمبر، وتمَّ في مدريد تنفيذ أحكام الإعدام في خمسة من الثوار الإسبان اليساريين، من بينهم إثنان من زعماء منظمة إيتا (ETA) " منظمة تحرير أراضي الباسك " بِتُهمة قتل أحد رجال الشرطة الإسبانية في مدينة آربيتيا بمناطق الباسك في أفريل 1974م،وبخصوص هذا قال " **جيمس كالاهان**" وزير خارجية بريطانيا في صدد الحماس الشديد في ردود فعل أوربا الغربية إزاء قضية الإعدام: « إن هذه العزلة قد فرضتها اسبانيا على نفسها، ليس لأن حكومتها قد ارتكبت حادثاً بشعاً واحدًا، ولكن بسبب سلسلة المظالم الطويلة التي حكمت بها سلطة فرانكو اسبانيا على مدى أكثر من جيل من الزمان ».

---

[1] حنان بن عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص ص203–204.

[2] بهاء الدين ماجد، مرجع سبق ذكره، ص09.

وفي 21 أكتوبر 1975م أعلنت الحكومة الاسبانية أن الرئيس فرانكو أصيب بأزمة قلبية شديدة، وتحت وطأة المرض والشيخوخة تخلى أخيرًا عن السلطة لخلفه الأمير **كارلوس**[1].

المطلب الثاني: ما بعد فرانكو من المركزية إلى اللامركزية.

شهدت اسبانيا نظاماً جديدًا في سياستها الدولية، بعد وفاة فرانكو الجنرال الذي عُرِفَ بدهائه وحكمهِ للسلطة بقبضة من حديد، بعد مجيئ الملك كارلوس.

التحول الديمقراطي الذي بدأ بتولي خوان كارلوس الأول*، قد تمَّ في هدوء شديد ومن دون صدام بين القوى المتصارعة التي كانت تنتظر فرصة رحيل الجنرال فرانكو (1975) .لقد تيقن الملك أن رئيس الوزراء في ذلك الوقت " كارلوس أرياس نافارو " أنه غير قادر على الانفصال عن تاريخه القديم المرتبط بفرانكو، فقام بإجراء عملية تغييرُ شجاعة بعد التشاور مع جميع القوى السياسية مثل الحزب الاشتراكي والأحزاب الشيوعية المختلفة. فكلف صديقه الشخصي السياسي" أدولفو سواريز" بتشكيل حكومة مؤقتة بدأت عملها في أوائل 1976م.

خلال أقل من عامين، تم الاعتراف بشرعية جميع الأحزاب يميناً ويسارًا، وأعلن عفو عام، وفتحت أبواب البلاد أمام الهاربين في المنفى منذ سقوط الجمهورية (1939).

وحددت الدعوة إلى انتخابات عامة في ربيع 1977م وفيها رشّح سواريز نفسهُ مستقلاً[2].

يبدو أن هناك طريق طويل ينتظر الملك كارلوس هذا من جهة، وحلم طال إنتظاره من قبل شعب الباسك هذا من جهة أخرى .

---

[1] نازلي محمد عوض، النظام الاسباني ما بعد الجنرال فرانكو، مجلة السياسة الدولية، العدد 43، مركز الأهرام، القاهرة، 1976م، ص ص 160-161-162.

[2] مسعود الخوندي، الموسوعة التاريخية الجغرافية: معالم، وثائق، موضوعات، زعماء، الج1، دار رواد النهضة، لبنان، 1994، ص285.

*خوان كارلوس دوبوربون DB.juan carlos (1938) ملك اسبانيا منذ 1975م، ولد في روما حفيد الملك الفونسو الثالث عشر الذي أقصي عن عرش اسبانيا في 13 نيسان 1931 أراد فرنكو أن يكون الوصي السياسي على خوان كارلوس الذي كان يتلقى العلم في سويسرا وفي 18كانون الثاني 1955 عاد إلى مدريد، عينهُ فرنكو خليفة له على أن يسترجع خوان لقب الملك، وفي 1975 توفي فرانكو وخلفه خوان كارلوس تحت اسم كارلوس الملك

– هذه الآمال العريضة في تحقيق مقومات الوحدة الوطنية وكفالة السلام الاجتماعي في اسبانيا ما بعد فرانكو، هل من السهل تنفيذها في الواقع العملي؟

– وإذا لجأ كارلوس إلى الإصلاح السياسي الجذري الن يفقد التأييد التقليدي الذي يتمتع به من اليمين من فئات الفرانكونيين وغير الفرانكونيين من البراجوازية الكبيرة ومن رجال الجيش والكنيسة، وكلها جماعات محافظة على مصالحها وتخشى أي تغيير سريع؟

– وهَلْ يقدم خوان كارلوس بالفعل على إلغاء الملكية وإقامة نظام جمهوري كما ينادي بها الكثير من الزعماء اليساريين الإسبان المنفيين خارج بلادهم ؟

– وهَلْ تظل مخاطر العنف ماثِلة لفترة طويلة أخرى في خلفيات الصورة الإسبانية العامة خاصة مع المدى الطويل لممارسة الدكتاتورية الفرانكونية ؟

ومما يذكر في هذا الشأن عبارة قالها أحمد زعماء المعارضة اليسارية في إسبانيا : « إن الخطر الرهيب الذي يكمن في الدكتاتوريات هو أن القائمين عليها يدركون أبداً اللحظة الحرجة التي يجب أن تقف عندها لعبتهم بمصائر شعوبهم ».

لقد تعهد الأمير في خطبته خلال الاحتفال بتتويجهِ كوريث الحكم في سنة 1969م بأن " يُصبح ملكاً مسايرًا للحكم لعصرنا" وفسر المراقبون هذه العبارة بأن الأمير يعترف بحاجة الشعب الإسباني ورغبته في إقامة نظام سياسي ديمقراطي على النسق الغربي، كما أعلن مرارًا عن ضرورة إقامة الدولة الليبرالية وإنشاء المؤسسات الديمقراطية في بلادهِ في عهدهِ الجديد [1].

تتضح نِيَّةَ " خوان كارلوس " مبدئياً في تبّنيه الخيار الليبرالي والذي حسبه يحقق السلام ويمنع النزاع.

وهذا ما حثَّت عنه المقاربة الليبرالية؛ حيثُ لا يريد الليبراليون فهم العالم لكن محاولة تغييره وهذا يتطلب حسبهم احترام حقوق الإنسان، ضمان وتدفق الرفاه الاقتصادي، وتعزيز العدالة الاجتماعية، يقول: كانط **(kant)**: « يعتقدون أن القيم مثل احترام حقوق الإنسان، التمثيل

[1] نازلي محمد معوض، ، مرجع سبق ذكره، ص ص 263–262.

الديمقراطي سوف تُفسر التوجهات السلمية للدول الديمقراطية، وهكذا الدول الديمقراطية هي أقل ميلاً نحو النزاع» [1].

لكن يبقى الإقليم مترددًا حول الوضع الجديد وما سيحدث بعده، ففي لجنة الدستور وفي الجمعية العمومية لمجلس النواب حدثت خلافات في وجهات النظر حول الحقوق التاريخية الخاصة لإقليم الباسك.

في الاستفتاء الذي جرى في 6 ديسمبر 1978م حصل الدستور على أغلبية كبيرة (87.8%) ولم يُصوت ضده إلا نسبة 7.4% وفي إقليم الباسك لبَّى العديد من الناخبين نداء القوميين الباسك ولم يُشاركوا في الإستفتاء (نسبة المشاركة كانت في حدود 48.9%) وعلى مستوى عموم اسبانيا لم تُشارك نسبة 32.9% من الناخبين في الاستفتاء. وبعد توقيع الدستور من الملك فإنه أصبح ساري المفعول ابتداءًا من 29 ديسمبر 1978م [2]

تبدو شكوك الإقليم في محلّها، حول تخوفه من هذا التحول هو أن يعيش مثلما عاش في عهد فرانكو، خصوصاً بعد سياسة **سواريز** تُجاه استفتاء الأندلس وعرقلته لكل محاولة قام بها الإقليم (الأندلس).

حيث اعتقدت الجماهير الأندلسية أن الحكم الذاتي هو العصى السحرية، التي ستحل جميع مشاكلها وتعيد إليها كرامتها، فلم يتطلع على الإطلاق لإثبات وتأكيد هويته التاريخية الخاصة إلا بعدما جاءت سياسة **سواريز** لتفتح الباب أمام التطلعات الانفصالية.

حدد **سواريز** 28 فيفري ميعاد استفتاء الأندلس حول الحكم الذاتي، ولكنه توتر بشأن خطورة التوسع، فلجأت الحكومة إلى شتى الوسائل لإفشال الاستفتاء ،رغم كل هذا التحايل جاءت نتيجة الاستفتاء مفاجأة مذهلة لحكومة بلغت نسبة الأصوات التي أدلت بنعم للحكم الذاتي في الأندلس 55.4% ولم ينفذ سواريز سوى الشرط المنصوص عليه في الدستور من ضرورة الحصول على الأغلبية حتى ينجح الإستفتاء وهو ما إعتبره كثيرون غير عادل وغير

---

[1] سمية بلعيد، النزاعات الإثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها–جمهورية الكونغو الديمقراطية ألنموذجا، مرجع سبق ذكره،ص36.

[2] غازي شنيك، النظام السياسي في المملكة الإسبانية، مؤسسة حمادة، الأردن، 2000، ص12.

منطقي، لهذا حاول المتطرفين وعلى رأسهم منظمة إيتا (ETA) الإرهابية لنسف المحاولة واستفزاز الحكومة للإقدام على إجراءات قمعية تُطيح بالديمقراطية الوليدة، ولكن الحكومة الإسبانية لم تتورط ولم تتخذ إجراء استثنائي واحد خلال الأربع سنوات الماضية.

وقد غرقت البلاد بالفعل في موجات من العُنف حتماً لقد أصبح اسم المنظمة " إيتا" مرادفاً للإرهاب.

رغم هذا إلا أن بلاد الباسك تشكل أكثر المناطق الإسبانية اضطرابا وقابلية للإنفجار فهي تشتمل على أقوى حركة انفصالية في اسبانيا ولكنها أيضاً من أغنى المناطق الصناعية التي تعتمد عليها اسبانيا في نُموها فقد كانت المحور الأساسي لتنمية اسبانيا وانطلاقها في الأعوام 1950–1970،لذا لن تسمح حكومة مدريد بانهيار هذا الإقليم واستقلاله التام عنها، وهو ما يزيد من تعقيد مشكلة الحكم الذاتي، كما يتردد في الأوساط المطلعة أنّ اسبانيا تُعّد هذه المنطقة لكي تُصبح منطقة التنافس عندما تنضم إلى السوق الأوربية المشتركة[1].

لقد أتيحت فرصة أمام الأحزاب الباسكية بالظهور وبالتالي تمثيل المنطقة في الحكومة الاسبانية.

إن مجلس النواب قد أباح –أثناء مرحلة التحول الديمقراطي–منذ 1976 تشكيل الأحزاب وخلال سنة 1977 تم تسجيل أكثر من 200 حزب، منها أربعة (04) أحزاب باسكية:

1–الحزب القومي الباسكي (partido Nacionalista vasco (PNN

2–حزب التحالف الجمهوري(Herri Batasuna (HB

3– حزب باسكي يساري(Euskadika Eskerra (EE

4– حزب التضامن الباسكي(Eusko Alkartasuna (EA .

[1] سوسن حسين: وحدة إسبانيا وتحديات الحركات الانفصالية، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام، القاهرة، 1980، ص ص 220،221، 222، 223،

-نظمت انتخابات جوان 1979م لانتخاب أعضاء البرلمان بموجب نظام القائمة النسبية، يلاحظ في هذه الانتخابات صعود نجم الأحزاب الإقليمية حيثُ حصل الحزب القومي الباسكي (**PNN**) على 7 مقاعد.

-أما انتخابات أكتوبر 1982، كانت أخر انتخابات شارك فيها الحزب الحاكم (إتحاد الوسط الديمقراطي)، حيث كان الفوز حليف الحزب الاشتراكي بزعامة " **غونزاليس** " بغالبية مُطلقة، إذ نال 202 مقعدًا، وحزب الحكومة على 12 مقعدا فقط، الحزب الشيوعي حصل على أربعة مقاعد والحزب الباسكي على 8 مقاعد، حزب التحالف الجمهوري (**HB**) على مقعدين.

– أما انتخابات 22 جوان 1986م فاز الحزب الاشتراكي مجددًا بـ184 مقعدًا وحزب سواريز على 19 مقعدًا والحزب القومي الباسكي (PNN) على 6 مقاعد.

– انتخابات 6 جوان 1993م ما ميزها هو فوز الحزب الشعبي (اليمين الوسط) بزعامة " خوسي ماريا أزنار" الذي حصل على 141 مقعدًا، والحزب الشيوعي على 18 مقعدًا، في حين انهار حزب الوسط الديمقراطي إلى مقعد واحد.

يلاحظ أنهُ قبيل انتخابات 1993 تعالت الأصوات المعارضة للحزب الإشتراكي الحاكم فعلى سبيل المثال أعلن زعيم الحزب القومي الباسكي **xavier Arzalluz** « أن المقابل الوحيد والمقبول للاشتراك في حكومة مركزية أو دعم هذه الحكومة في البرلمان لن يكون إلا بالاعتراف بالحكم الذاتي الكامل لإقليم الباسك».

هذا لم يَحُد من رغبة الحكومة في ضم الإقليم والسيطرة عليه رغم كل محاولات الأحزاب التابعة للإقليم والتي تنادي بالحكم الذاتي والاستقلال.

شكلت تجربة تقاسم السلطة داخل إقليم الباسك (1886–1998) إحدى الآليات التي اتبعتها الحكومة الإسبانية لاحتواء العنف الباسكي، فإلى جانب منح الحكومة الباسكية سلطة إقليمية، برزت تجربة تقاسم السلطة في إقليم الباسك وسط محتوى سياسي تميز بـ:

-الانقسامات الإدارية الاجتماعية المتزايدة التي شهدها الإقليم وبروز الصراع حول قضايا الانتخابات المركزية.

- تزايد الصراع في منطقة الحكم الذاتي الباسكي بين التيار التقدمي والراديكاليين الوطنيين.

تم وضع مجموعة من الشروط الملائمة لإنجاح تجربة تقاسم السلطة:

أولاً: التوازن النسبي: ينبغي أن لا يكون التباين العددي واضحاً من حيثُ التمثيل بمعنى تجنب سيطرة الأغلبية.

ثانياً: أن لا يكون التفاوت الاجتماعي والاقتصادي واضحاً بين الجماعات داخل الدولة فالتدهور الاقتصادي وعدم المساواة الاجتماعية لجماعة على خلاف الأخرى أمر يُعيقُ مبدأ تقاسم السلطة.

ثالثاً:تقسيم السلطة لا ينبغي الإبقاء على جماعة إثنية معينة معزولة جغرافياً وسياسياً.

رابعاً: فكرة الولاء، ترسيخ الولاء الجماعي بدل ارتباط جماعة بهويتها فقط مع الحفاظ على رموز وقيم الجماعات الإثنية.

خامساً: التنظيم الجماعي: ينبغي تنظيم الأحزاب وفق نظام جماعي تتنافس من خلاله كل الأحزاب بمختلف توجهاتها.

سادساً: سيطرة النخب: ضرورة وجود قيادة سياسية قادرة على مراقبة وإقناع فئات متعصبة فهي بمثابة قاعدة مدعمة للتعدد بدل الاحتكار.

سابعاً: منح الحصص: لكل الأحزاب في إطار تنفيذ تقاسم السلطة ينبغي تحقيق التوافقية بين الجماعات الإثنية من حيثُ الحصص[1].

هذه الانتخابات غيرت من مسار المطالبة التي طالما كانت حلم الشعب الباسكي وكبحت تطلَّعَاتِه في الاستقلال،لأن المجموعات المؤيدة، للاستقلال وأعمال الاغتيال، والخطف والإرهاب في إقليم الباسك قد تغيَّرت أهميتها السياسية تغيُّرًا دراماتيكياً .

[1] حنان بن عبد الرزاق، الآليات المؤسساتية لإدارة التعدد الإثني- دراسة حالة النزاع في إقليم الباسك بإسبانيا منذ 1959م، مرجع سبق ذكره،ص ص 82-85.

والأهم من ذلك أن عملية " نزع شرعية الهوية" نفسها حدثت بين الذين صوتوا لصالح أكبر أحزاب الباسك القومية (**PNN**)، ففي عام 1979 كان 6% فقط من مؤيدي الحزب القومي الباسكي يقولون إن الإرهابيين " مجرمين " و12% فقط يقولون إنهم " مخبولين". وفي عام 1983م صارت النسبتان 27% و 30% على التوالي. بالرغم من استمرار أعمال القتل السياسي في إقليم الباسك، إلا أنها لم تعد تهدد بإسقاط الحكومة الديمقراطية، لقد تم احتواء أزمة الدولنة في إسبانيا، ويعود الفضل في ذلك إلى حد كبير إلى اختيار السياق الانتخابي[1].

المبحث الثاني: ارتدادات الفعل الباسكي على السياسة الإسبانية:

لن يرضى شعب الباسك بسيادة الحكومة المركزية على إقليمه إذ ظهرت بوادر السعي نحو الاستقلال، ومنه ضرورة مواجهة السياسات القمعية الممنهجة ضده.

كانت هناك بعض أساليب العنف التي قام بها الإقليم(منظمة إيتا).

المطلب الأول: تطور علاقة الباسك بالدولة الإسبانية

رغم كل ما عاشه الإقليم من ظروف قاسية واضطهاد في كل مجالات الحياة(اجتماعيا، ثقافياً، إدارياً، اقتصادياً..إلخ) إلا أنَ روح المقاومة لا تزال تشتعل في المنطقة، من خلال مفكريها ومناضليها الذين يؤمنون بأحقية المنطقة على نفسها.

هذا يَدُلْ على تغيير فكرة " تسليم السلطة " في شخص واحد، وبدء الأمة في تولي أمورها. حتى لويس الرابع عشر (14) ملك فرنسا كان يقول " أنا الدولة" فكان يحق للملوك – بمقتضى مبدأ الشرعية– أنّ يتصرفوا في الأقاليم الخاضعة لهم تصُرفاً مطلقاً مثلما يتصرف الأفراد في الأراضي والعقارات المملوكة.

ساد هذا المبدأ خلال الحقبة السابقة على حلول القرن 19، بيد أن مع قيام الثورة الفرنسية 1789م أنفسح المجال لعدد من المبادئ المتناقضة لمبدأ " الشرعية ".

---

[1] دانيال برونبورغ، التعدد وتحديات الاختلاف: المجتمعات المنقسمة وكيف تستقر؟. دار الساقي، بيروت،1977م.ص234.

ارتبطت الثورة الفرنسية بفكرة الحقوق الطبيعية" **National rights** " نقلاً عن فلاسفة العقد الاجتماعي السياسي في القرن 17 و18: جون لوك الانجليزي –جان جاك روسو الفرنسي. من هذا الأخير تأثرت الثورة بمفهوم سياسي" القومية " ومنه: الثورة الفرنسية عَلَّمَتْ العالم معنى القومية[1].

يرتبط صعود القومية الباسكية الحديثة بحياة **سابينو دي آرانا (Sabino de Arana)**، نظم سابينو حملة لرفع الوعي الباسكي من خلال إحياء استخدام لغة الباسك، واختراع مصطلح **Euskadi** لترمز إلى الأمة الباسكية العرقية الجديدة، وإنشاء مكاتب الدعاية الثقافية، كما ساهم فيما سماه Anderson Benedict " المجتمع المتخيل " لأن معظم الباسك لا يعرفون بعضهم وبأكثر تحديد قاد "سابينو" من خلال ما يعتبره المنظر القومي " Miroslav Hroch" : « أول مرحلة هيكلية للحركة القومية ».

وحسب Harff Gurr: « كلما عُرِف الشخص بقوة مع مجموعة إثنية خاضعة للتمييز زاد احتمال تحركه للعمل ». وهذا ما أراده سابينو من شعبه الباسكي وكجزء من عمله النشط أنشأ سابينو: الحزب الوطني الباسكي في 1895م (PNN)، كان له عمل محوري في 1893م في بيزكايا من أجل استقلالها، معتمدا بذلك على الأفكار والمعتقدات، بأن جميع محافظات الباسك السبعة يجب أن تتوحد ولأن التمايز اللغوي جعلها مختلفة لذا عليها الانخراط في النضال البرلماني للانفصال السياسي والاستقلال.

في السنوات الأولى من القرن العشرين نما الحزب الوطني الباسكي (PNN) وطور علاقة مهمة مع الطبقة الباسكية ذات الطابع العرقي المهمشة سياسياً واقتصادياً [2] .

ظل " آرانا " مخلصاً لوطنه ومدافعاً عنه، حيثُ كان يقول: « لكي تكون وطنياً من الضروري أن تحب الحرية أو الوطن، من أجل حب الحرية أو الوطن من الضروري أن نكره أولئك الذين يستعبدونها» [1]

---

[1] أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، دراسة في الأقليات والجامعات والحركات العرقية، مرجع سبق ذكره،ص ص 25–28–32.

[2] Michael T.weaver ,op-ct,p p 26-27-28-34.

بهذا ساهمت نشاطاته في ازدياد الشعور بالقومية الباسكية والأبعد من ذلك " النقاء الباسكي" ويمكن الاستشهاد في هذا الصدد بمقولات أردفها " آرانا" أثناء إلقاء خطاباته:

" إن الاحتكاك بين شعبنا (الباسك) والإسبان سيؤدي بنا حتماً للتخلف... الأجانب الإسبان) يمكنهم العيش في بيسكايا تحت وصاية ممثليهم ولكن ليس لهم الحق في التجنس بالباسكية..".

"... ينبغي طرد المعلمين الأجانب من القرى بالحجارة... إذا حدث لهذا البلد الإثني أن عانى من مشاكل معوية كالفقر أو حرب خارجية نحن نحتفل بسعادة كبيرة".

إضافة لهذا سابينو هو من قام بتخطيط العلم الباكسي (Ikurrina) الذي يُعتبر رمزًا من رموز القومية الباسكية. كان شعار الحزب(PNN) (jaungoikoa ETA lazara) والذي يؤكد وجود الأُمة الباسكية" [2].

هذه الأمة التي يؤمن بها مناضلي القضية الباسكية، مؤكدين على وجودها رغم كل الضغوطات والعراقيل في سبيل عدم الاعتراف بها.

فحتى الطبقة البرجوازية تنادي بتوحيد أبناء الأمة ذات اللغة والتاريخ و المصالح والتقاليد المشتركة في دولة واحدة يتمتع مُواطنيها بالحريات و التمثيل البرلماني، ففي حال توفير مثل هذه الأجواء الجديدة تتحقق مصالح هذه الطبقة وتتكرس سلطتها الصاعدة ضد الملك والإقطاعيين ورجال الكنيسة، ومن هنا وجدت البرجوازية،وخاصة من خلال الثورة الفرنسية « أن الأمة هي المبدأ، وهي الغاية في كل تَوجُّه قومي، والنظام السياسي يجب أنّ يستوحي هذه الأمة وكذلك التشريع غايته الحفاظ على مصالحها العليا وعليه كل ما عداها متحولاً لا يعرف الثبوت النهائي[3] .

---

[1] Diego Muru Ruiz Ethnicty and violence : the case of radical basque nationalism,Thesis submitted in partial requirement for The degree of doctor of philosophy- The london school of Economics and political science ,university of london,p135.

[2] حنان بن عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص67.

[3] هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشرين(دراسة سياسية)، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2015، ص ص38 –39.

لأجل الحفاظ على هذه الأمة ومن خلال الشعور القومي الذي يستند إلى روح الانتماء قرر شعب الباسك القتال والنضال ومواجهة العدو الغاصب.

كانت الطريقة المنطقية والوحيدة المشروعة للاستجابة للاحتلال وحماية الوجود القومي هي الكفاح المسلح، كما حذر زوتيك (**Zutik**) 1964: نعتبر أنفسنا في حالة حرب مع اسبانيا وفرنسا، ولقد خسرنا معركة عام 1937م ولكننا لم نخسر الحرب، الحرب لم تنته».

أيضاً كتب " **ماداریاغا**" (**Madariaga)** " إن سياستنا في الدفاع عن أنفسنا من عنف المحتل المستبد لم تخترها نحن " الباسك" لقد فرضوها علينا، نحن لا نفعل شيئاً سوى تطبيق الحق العادل في الدفاع عن النفس »، وحتى لا تحمل السلاح مرة أخرى، فإن الأمة ستختفي بدون علاج.

وفي ذات السياق، نشر " باتاسوتا" عام 2002 وثيقة يمكن من خلالها قراءة: " أن شعبنا لم يعرف سيناريو سلام مستقر لما يقرب من مائتي عام» والدليل على هذه العواقب القمعية: للثورة الفرنسية، الثورات الاجتماعية، الحربان العالميتان، الانتفاضة الفاشية 1936م، النضالات الشعبية ضد ديكتاتورية فرانكو، وواقعية الصراع السياسي اليوم، فمنذ القرن 18 لم يكن هناك جيل لم يعرف الحرب والتعذيب والسجن هذه الحقيقة هي التي تعطي الصراع، هذا أننا نعيش شخصية تاريخية وسياسية مأسوية» [1]

هذا ما ذهبت إليه نظرية الهوية الاجتماعية حيث فسرت مشكلة الصراع بأن الناس يكابدون من أجل الحفاظ على سمعة إيجابية لشخصياتهم، وإن كانت حالة المجموعة غير مستقرة لا تقوم على قواعد عادلة فإن أعضاءها يلجأون إلى الأفعال التي من شأنها تحسين هويتهم الاجتماعية، وهذه المحاولة التحسينية للهوية هي التي تؤدي إلى التعصب العرقي أو الجهوي يقول padgit: يعتقد ماركس (Marsc) أن التطور الاجتماعي إنما هو نتاج الصراعات الطبقية، فالماركسية تعتقد أن التاريخ البشري كلهُ يدور حول هذه الصراعات؛ استغلال الغني

([1])José javier Freize , Emociones e historia.asociacion de historia contemporanea marial edicions de historia S A,Madrid,2015,pp230-235.

القوي للفقير.والماركسية تؤمن بأن هذه المشكلة يمكن حلها عن طريق العنف والثورات المسلحة [1].

قد تكون المطالب الجزئية (الحكم الذاتي) إحدى طرق الإقليم للاستقلال والانفصال التام. فبعد إصدار أول نظام الحكم الذاتي للباسك في البرلمان الاسباني في 1 أكتوبر 1936 وافق الحزب الراديكالي ولا سيما Luis de Arana لعرض josé Antonio de Aguirre أول رئيس للحكم الذاتي. بالنسبة للقوميين لم يكن النظام الأساسي هو نهاية نضالهم بل أن يقتربوا من استعادة استقلالهم قبل 1839. كما أشارت الصحيفة Euzkadi فإن النظام الأساسي كان هَدَفاً مؤقتاً وخطوة إلى الحرية (depablo Mees,Rodrigues,19,2001.) .

وفي جهد واضح لاستدعاء الماضي التاريخي، أقسم Aguirre وهو وزير الدفاع في جيش الباسك في محافظات أرابا وجيبوزكوا ونافارا، أمام البلوك المقدس " Gernika " مع هذه الكلمات:

- متواضع أمام الله
- يقف أمام أرض الباسك
- في ذكرى أسلاف الباسك
- تحت شجرة غرنيكا أقسم
- أن أفي بأمانة في عملي .[2]

ومن الناحية السياسية عبر حزب " هيري باتاسونا" (Herri Batasuna) عن رغبته في تحقيق الاستقلال لبلد الباسك. هو الحزب الذي ينتمي لليسار المتطرف (إتحاد شعب الباسك– HB –) الذي بدأ كتحالف سياسي، تم تشكيله في 1978، عرف نفسه على أنه

---

[1] عبد الوهاب الطيب بشير، الأقليات العرقية والدينية ودورها في التعايش القومي في أثيوبيا من الإمبراطورية إلى الفيدرالية 1930–2007، مرجع سبق ذكره ، ص ص 49–53.

[2] Dieago Muru Ruiz , op-ct,p130.

ائتلاف وطني اشتراكي، دعا لمثل ما دعت إليه " ETA " تقرير مصير بلد الباسك، ورفض لدستور الإسباني.

أعتبر الجناح السياسي لـETA حيث أن معظم أعضاءه كانوا من نشطاءها في 2001م غير **HB** اسمه إلى " وحدة الباسك " [1] .

يقول في هذا الصدد " Jorge Rogers " نائب في هذا الحزب (Phalange chilena) ، في 31 يوليو 1946 إلى التضامن مع قضية الباسك: " من لا يفهم شعب الباسك اليوم ويتعاطف معه، ليس ديمقراطياً حقيقياً » [2].

وبمناسبة فكرة الديمقراطية فقد أعلن HB في 1979م انهُ لن يشارك في البرلمان الإسباني لأنه الهيئة التشريعية لدولة غير ديمقراطية ولأن هذه الدولة لن تقبل مطالبنا السياسية.

كما يدعي أن حكومة سواريز فشلت في إعطاء قوة إقليمية حقيقية كافية لحكومة الباسك المستقلة ووصفت النظام الديمقراطي الإسباني الجديد بأنه " فرانكية إصلاحية. "

إن وجهة نظر الحزب (HB) حول صمود الديمقراطية الإسبانية الجديدة نابعة من استمرار أساليب قمع فرانكو من قبل حكومة **سواريز**.

مثال: إن مجموعة التشريعات الصارمة الجديدة لمكافحة الإرهاب التي قوضت بشدة الحريات المدنية وعمليات الاعتقال الجماعي، التي قامت بها قوات الأمن.. والوجود الكثيف لقوات الحرس المدني التي تقوم بدوريات في شوارع مدن الباسك، كلها أسهمت في هذا الشعور عودة القمع الإسباني [3].

لهذا كان لابد على الإقليم أن يركز على الاستقلال التام بدل الحفاظ، وهذا ما أرادت توضيحهُ المجموعة الراديكالية " **Ekin**".

---

[1] Farida Tronnberg , State regulation of anti- democratic parties-Acomparative study of Germany, spain and Swedeu ,Master Thesis in international and European affairs.2013,pp43,44.

[2] Carlos Diaz Farina , la colectividad vasca en chiLe después de la guerra civil Espanola a través de la revista Euzkadi 1943-1950 , Thesis para optar al grado de licemciado en historia ,santiago ,2006,p21.

[3] Michaelt T .weaver, op-ct,p63.

تزامن تخفيف القمع في 1950م مع تشكيل مجموعة وطنية جديدة تدعى " **Ekin**"، كان أعضاءها الأصليون من عائلات قومية قوية وضعت قيمة لحماية لغة الباسك وثقافته، أصبحت المجموعة على نحو متزايد انتقادا إلى الحزب الوطني الباسكي (**PNN**) المعتدل وبدأت في الدعوة لتحرير الوطن الباسكي باستخدام التكتيكات المسلحة، ومن هذه المجموعات الراديكالية في مجتمع الباسك (**ETA**) [1].

المطلب الثاني : استراتيجية منظمة إيتا في الباسك

أخذت منطقة **الباسك** منحنى أخر، فبعدما كان شعبها يطمح للحفاظ والاستقرار مبدئياً، أصبح الحلم أكبر وهو " الانفصال والتحرر" ومن ثم الاستقرار كدولة بمقوماتها الأساسية.

وهذا من خلال ظهور منظمة " **ETA**"، (**Euzkadi ta Askatasuna**) والتي تعني " ببلاد **الباسك** والحرية". أنشئت في 31 جويلية 1959م، من قبل مجموعة من الطلاب(07 طلاب) في جامعة" اليسوعية" **في ديوستو**(**Jesuit university deusto**) في **بلباو** لرفع وعي **الباسك** وتنشيط ثقافته وتحويل الحركة الاجتماعية ضد الحكومة الإسبانية، هذا وأنها قامت بكسر صفوفها مع الحزب الوطني الباسكي المعتدل لأنها كانت مُستاءة منه لأنهُ لم يلتزم بالنضال المسلح ضد فرانكو.

تتكون المنظمة من شباب مثقفين من الطبقة الوسطى (الذين سيصبحون قادة المستقبل) والناشطين الصناعيين الشباب في المناطق الحضرية (الذين سيصبحون في المستقبل) القاعدة المتشددة للمنظمة) كما تم تجنيد العديد من المسلحين من المدارس الدينية والكتائب الكاثوليكية، كانت الكنيسة نفسها ملاذًا أمناً للغة وثقافة **الباسك**، اكتسبت المنظمة دعماً قيماً من المجموعات المرتبطة بالكنسية، وهي بدورها ملتزمة بشدة بقضية **الباسك**.

في أفريل /ماي 1960م وقّع 339 كاهناً من **الباسك** على عريضة أرسلت إلى أساقفيهم طالبوا فيها" بدعم حقوق شعب **الباسك**" [2] .

---

[1] Ibid ,p37.

[2] Michael T. Weaver ,op-ct, pp37,38,39.

كما قامت الحركة وفق أيديولوجية القومية **الباسكية– اللينينية:** وفق مبدأ (Bietan Jarrai) والذي يعني الاستمرار معاً.

هي حركة تؤمن بالاستقلال الكامل لإقليم **الباسك** تحت شعار: أربعة+ ثلاثة =واحد، معناه جمع الأقاليم الثلاثة الفرنسية مع الأقاليم الأربعة الإسبانية ،تتخذ الحركة رمزًا خاصاً بها يتجلى في صورة أفعى وهي تمثل الجناح السياسي تلتف حول الفأس طويلة وهي تمثل بدورها الجناح العسكري للمنظمة[1].

عرفت "**ETA** " شقاقاً في صفوفها سنة 1974م، داخل الهيئة الإدارية للمنظمة حيثّ انقسمت إلى اتجاهين: هما: الجناح العسكري(الصقور)، والجناح السياسي(الحمائم)، أما الأول فهو مسؤول عن الاغتيالات معتبرًا إياها أمرًا واجباً ودفاعاً عن النفس وعن الثورة ومنجزاتها، أما الجناح الثاني فهو يدعو إلى ضرورة البدء بالعمل الدبلوماسي، وقد قام بتأسيس حزب اليسار **الباسكي E.E (Euskadico Ezkerra)** [2].

ولكنهما لا يختلفان في جوهر سياستهما؛ حيثّ لا يزال تركيزهما على أهم ما جاءت لأجله الحركة" **ETA**" :

–انسحاب القوات الاسبانية من بلاد الباسك وإيقاف القمع الجسدي والفكري وإطلاق سراح المسجونين السياسيين.

–التنفيذ الفوري لقيام المجلس الاقتصادي والإداري الأعلى الذي يُعطي بلاد الباسك كخطوة أولى حكمها الذاتي مالياً وإلى حد ما اقتصاديا..

–الإلغاء الفوري لثنائية اللغة في بلاد الباسك والاعتراف باللغة الباسكية لغةً وحيدة حيثُ لا وجود للغة الاسبانية[3].

---

[1] حنان بن عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص ص69–70.

[2] نازلي محمد معوض،مرجع سبق ذكره، ص166.

[3] محمد علي المداح، مرجع سبق ذكره، ص ص156–159.

كان لدى الحركة نفس الحوافز التي اعتبرها " **Gurr**" كمكونات أساسية تؤدي إلى العمل السياسي مثل الاستياء من الخسائر السابقة والخوف من الخسائر المستقبلية وآمال تحقيق مكاسب نسبية.

وفي سبتمبر 1964م أعلنت المنظمة أن لجميع **الباسك** واجب قانوني لدعم مقاومة " الظالم" بالتالي فإنها تتضمن قسماً أن يقوم الناس بهذا الواجب، كما أصبح الغرض الأساسي لها هو تغيير الدولة الاسبانية جذرياً، إما بإطاحة حكومة فرانكو أو إجبارها على الاستسلام للمتمردين.

يقول:«**Tarrow** أنّ العنف يضفي القمع، ويستقطب الجمهور، ويعتمد على مجموعة صغيرة من المسلحين الذين أصبح العنف شكلهم الرئيسي للسياسة»، تتفق هذه الرؤية بشكل جيد مع قضية" **ETA**" حيثُ بدأت كفاحها المسلح من خلال استخدام نظريتها الخاصة بقمع " العمل" على أمل إثارة انتفاضة شعبية من الباسك ضد الحكومة الإسبانية.

كما كتب " **Gurr**" حول الحركة:" إن القمع الشديد سيؤدي لتكثيف وصراع أكثر انتزاعا",هذا ما حدث بعد صدور مرسوم 1960م في حق الحركة والذي يحرم الإجراءات القانونية الواجبة لأعضاء المنظمة ويُحاكِمُونهم في المحاكم العسكرية وليس المدنية، يعاقبوا إما بالإعدام أو السجن المؤبد.. ما دفعها للقيام بأعمال إجرامية، كان أهم هجوم لها في عهد فرانكو اغتيال رئيس الوزراء الاسباني **Luis carrero Blanco** في ديسمبر 1973م.

كما أنها تعتقد أن الدولة الاسبانية تستغل الموارد الطبيعية للباسك وأنّ شعب **الباسك** وبلده يُعاني من الاستعمار الداخلي على يد الحكومة الاسبانية المركزية في مدريد، وتستخدم " **ETA**" الاستعمار الداخلي لتبرير تقنياتها المسلحة لأجل الاستقلال، واعتمدت أيديولوجية قومية حديثة في **الباسك** تنص على: أنّ الباسكيين كان دائماً لهم حق غير قابل للتصرف في تقرير المصير، والنتيجة الطبيعية المترتبة على ذلك هي أنهُ يحق لبلد الباسك السيطرة على موارده الاقتصادية والاستفادة منها... يتعلق الأمر بالحق في تحديد الطريقة التي يتم بها توزيع الموارد السياسية والاقتصادية بين الباسك ومدريد» .

كما استهدفت "**ETA**" (خلال عهد فرانكو إلى منتصف 1990م) في الغالب الوحدات العسكرية والشرطة الاسبانية، والمدينون وقادة الصناعة، ثم اتسعت بشكل ملحوظ قائمة أهدافها لتشمل فقهاء وأساتذة، وصحفيين ومديري أعمال، وقادة أعمال أحزاب سياسية، وقد وصل العنف أعلى مستوياتها في 1980م 881 قتيلاً.

قامت المنظمة، بتحديد خمسة مطالب تعتبرها ضرورية للحملة ضد دولة اسبانيا ووضعت المطالب كجزء من مجلس التنسيق الوطني الاشتراكي(KAS)،هذه الأخيرة تعتبر مجموعة من المنظمات القومية الباسكية اليسارية (بما في ذلك HB) مهمتها خلق وحدة بين القوميين الباسكيين، وحل الخلافات وتنسيق السياسات والأنشطة، المطالب(05) المعروفة باسم KAS هي:

1➢ العفو لجميع السجناء السياسيين .

2➢ إضفاء الصفة القانونية على جميع الأحزاب السياسية.

3➢ إزالة جميع سلطات إنقاذ القانون الاسبانية (الحرس المدني، والشرطة المسلحة، والشرطة العامة) من إقليم الباسك.

4➢ تحسين ظروف العمل والمعيشة لعمال الإقليم.

5➢ قانون استقلالي يعترف بـ:

–السيادة الوطنية لبلاد الباسك.

– أوسكيرا كلغة رسمية رئيسية.

– سيطرة الحكومة الباسكية على جميع وكالات إنقاذ القانون والهيئات العسكرية داخل الباسك.

– على السلطة الباسكية اعتماد أي هياكل سياسية واقتصادية واجتماعية ضرورية لتحقيق تقدمها ورفاهيتها[1]

[1] MichaelT .weaver ,op-ct,pp39,41,43,46,48,67.

هكذا استمرت الحركة في أعمالها ضد الحكومة الاسبانية، حيثّ استمرت العمليات العنيفة (تفجيرات ،اغتيالات ..) للقوميين الانفصاليين **(ETA)** وأحصيت العمليات في أواخر 1991م، فبلغت 3ألاف عملية منذ 1974م، ذهب ضحيتها 800 شخص، وفي 1993م، استمرت هذه العمليات بوتائر متصاعدة [1].

كان للحركة مؤيدون رغم اعتبارها مجموعة تقوم بالأعمال العنيفة، واعتبروها دفاع عن الحق المفقود بيد الظالم (الحكومة الاسبانية) وETA هي من سيقوم بإرجاعه.

يُعتبر **Emilio lopez Adan** و **Francisco Letamondia Belzunce** من القوميين الراديكاليين الباسكيين الذين تعاطفوا مع منظمة "ETA" وأقاموا تفسيرًا وطنياً لنزاع الباسك، ولي رأيهم أن إسبانيا وأقاليم الباسك(**Euskal Herria**) كانت في حالة حرب منذ قرون، لكن النضال الحالي استمرارًا لتلك المواجهة المليارية.

في بلاد الباسك استخدم pedro Ibarra لأول مرة "نظرية الاختيار العقلاني" في 1989م لشرح لماذا تعتقد منظمة " إيتا" أن العنف سيساعدهم على تحقيق هدفهم المتمثل في " دولة اشتراكية مستقلة لوطن الباسك" وفي أعقاب حجة مشابهة، قال عالم السياسة Ignacio Sanchez Guenca (2001):إن منظمة " **ETA**" كانت عاملة عقلانية استخدمت العنف لتحقيق هدف سياسي:

– انفصال الباسك عن اسبانيا، والسبب في استخدامها العنف كما قال: Sanchez، لأن إسبانيا لن تسمح بالانفصال السلمي للوطن (الباسك) وإذا كان هذا الافتراض صحيحاً فإن ماتحتاجه الحكومة الاسبانية إقناع **ETA** بأن العنف ليس ضرورياً وأن الاستقلال السياسي ممكناً سلمياً [2]

هذا هو الأسلوب العقلاني لـ: **ETA** في كل صراعاتها، كما يؤمن أصحاب نظرية الاختيار العقلاني بفكرة وجود مجتمع إلى حد التعصب ويتخذونها منطلقاً، والتفسير المنطلق من

[1] مسعود الخوندي ، مرجع سبق ذكره،ص288.

[2] Diego muru Ruiz ,op-ct ,PP,33,32

نظرية الاختيار العقلاني تفسير يعتمد على القصد، بمعنى أنه يفترض أنّ رغبات الفرد ومعتقداته هي مبررات فعله[1].

من جهة أخرى حاولت نظرية الاستياء الاجتماعي شرح العنف، وفي السبعينات وضعت على هذا المنهج: السبب والنتيجة، وخلصت أنّ التظلم يمكن أنّ يفسر السلوك العنيف في معظم الحالات.

يوجد ثلاث مؤلفين أسهموا أكثر من غيرهم في فهم الخطاب الوطني الباسكي Begoma Aretscaga و jermy Macklancy و jose Manuel Mata lopez .

طرحت Arestscaga سؤالاً في كتابها : لماذا الباسك مستعدون للموت من أجل أمتهم؟ ، قامت بتحليل جنازات أعضاء "ETA" والمتعاطفين والرسائل التي أعطيت في تلك الجنازات؛ كانت الرسالة الرئيسية هي إعادة تأكيد الشخص الميت كبطل وشهيد لأمة الباسك، إضافة أنه في كل جنازة يتم إنكار الوفاة رمزيا وتعزيز عرق المجتمع، وقد وُضعت وفاة أحد أعضاء ETA في تاريخ طويل من التضحيات لأجل أمة الباسك فحسب**Aretscaga** : كان يُنظر إلى هذا الجانب في أحد لافتات جنازة "شانتي بروارد" **(Shanti Brouard)** وهو مواطن قومي متطرف قُتل في 1988 من قبل فرقة الموت الاسبانية تسمى " **GAL** " عند دخول بلدة Amorabieta أعلنت فيها "راية شانتي" أنت لست جثة ولكن بذر **«Shanti no eres cadaver,sino simiente» (Aretscaga,1988,68)**

فلا ينظر للموت باعتباره مدمر، ولكن كمبادرة متفائلة، وتصبح التضحية في نهاية المطاف مثالاً هاماً ومساهمة أخرى في الدفاع عن أمة الباسك.

يقول Gabriel Aresti " قصيدة سأموت I shall die,

سوف أفقد روحي my soul will be lost

سوف أفقد أحفاد بلدي my desc endants will be lost

ولكن بيت والدي but The house of my father

(1) إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس،تر:محمد حسين غلوم،المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت،1978،ص ص،101،102.

سوف تصلب Will endure

على قدميه. On its feet.

الإسهام الثاني في فهم القومية الباسكية المتطرفة، قدمها Jeremy في مقال قصير" ثقافة القومية الباسكية الراديكالية " (1988م)، وصف مقالته القومية الراديكالية في نافار وكيف دخل الأعضاء الجُدد المجتمع القومي بشروط مختلفة خلال فترة **Sabino De Arana**، كان على المرء أن ينتمي إلى " سباق الباسك" لكي يكون قومياً راديكالياً.

الإسهام الثالث والأخير، هو لعمل Manuel Mata Lopez: القومية الباسكية الراديكالية 1993. كانت القومية الراديكالية– حسبه– قابلة للتبادل في كثير من الأحيان مع مصطلح اليسار القومي، والذي كما أشار إليه في أطروحته الحق في العثور على أصول اليسار القومي .

و خلال الأعمال الإجرامية قررت التوقف عن نشاطها، ففي 20 أكتوبر 2011م، وبعد مرور 52 عاماً على تاريخ تأسيسها، وما يقرب من 850 قتيلاً أعلنت " ETA " (بلد الباسك والحرية) التوقف النهائي لنشاطها، وبهذه الطريقة كان يأمل في الترويج " لحل عادل وديمقراطي للنزاع السياسي العلماني "[1]

ولكن هل هذا الاعتدال هو حقيقة أم إحدى الطرق التكتيكية المعروفة بها؟ أم أنها إحدى الطرق التي تُجابه بها العدو في غفلةً منه؟ .

كما عبر " سون تزو" في كتابه " فن الحرب" وهو يشرح الإستراتيجيات المتبعة ضد العدو، في جمل منها:

– وفّرْ طاقتك بينما تستنزف العدو.

– أنهب البيت الذي اشتعلت فيه النيران.

– تظاهر بالهجوم من الشمال وأضرب بقوة في الجنوب.

– اخف خنجرك وراء ابتسامة عريضة .

[1] -José Javier freize,op-ct,p214.

– استغل الفرصة لتسوق الشاة بعيدًا.

– اضرب العُشب لتستفز الثعبان.[1]

يبدو أنّ هذا مطابق على الحركة فبعد إعلانها التوقف، قررت الاستمرار، في عام 2013م رفضت " **ETA** " التخلي عن مسار النضال وتحمل قصة الظالمين، أكّد رئيس سورتو **Sortu Hasier** أنّه حتىّ يومنا هذا واحدة من المعارك السياسية الرئيسية هي معركة القصة»[2] .

[1] سن تزو، فن الحرب،تر: رؤوف شبابك،ط1،دار أجيال،2007،ص ص،142،143،147،148.

[2] - José Javier freize,op-ct,p238.

الفصل الثالث:

الضغوطات الداخلية على الإقليم ووضعيته بعد استفتاء الانفصال

المبحث الأول: موقف الإتحاد الأوربي وقيمة الموقف الفرنسي تجاه الإقليم

ازدادت الضغوطات على الإقليم إذ أصبحت تشمل المستوى الإقليمي، هذا ما جعل مهمة الإقليم صعبة. حيث كان موقف كل من الاتحاد الأوربي وفرنسا إزاء قضية الباسك سياسة منع الاستقلال فكلاهما قدما مبررات تفسر ذلك.

المطلب الأول: موقف الاتحاد الأوربي تجاه الإقليم

ليس غريباً أن يكون للإتحاد الأوربي موقفاً تجاه قضية الباسك؛فالباسك يعتبر أحد أقاليم اسبانيا،هذه الأخيرة هي عضو بالاتحاد الأوربي منذ سنة 1986م، ومن الطبيعي أن كل مشاكلها تخص بالدرجة الأولى الإتحاد الأوربي.

كان ينظر للانفصال من قبل النظام الدولي والاتحاد الأوربي بغض النظر على أنه صنع الدولة أو كسرها هو"سياسة؛ ؟فقط أولئك الذين يشغلون مناصب الحكم قادرون على إعادة رسم الخرائط واتخاذ الخيارات التي تؤثر على حدود الدولة والمجتمعات البشرية .

وأنه يجب أن تكون هناك دوافع للانفصال، لأنه ينظر لحالات إنهاء الاستعمار أو الاستعباد الأجنبي على أنها استثناءات، وليست كنماذج تقليص يمكن تطبيقها على مجموعة متنوعة السياقات (إما استبدادية أو ديمقراطية)، هناك أمثلة على دول غير مستعمرة التي انفصلت بنجاح هي نادرة وتشمل جنوب السودان وإريتيريا وتيمور الشرقية والجبل الأسود (Synour,2017,p823). في غياب دليل الانفصاليين فإن أولئك الذين يؤيدون الاستقلال السياسي يتعلمون إما عن طريق عمل ما أو محاكاة حركات أخرى.

وهي تجادل (الدول) بأن القواعد الدستورية والدولية الحالية تسمح للوضع القانوني الراهن بتوفير السلام والازدهار، ولا تؤدي التحديات الانفصالية–حسبهم– إلا لضغوطات دستورية لا لزوم لها، وزعزعة الاستقرار الداخلي وانهيار النظام القانوني يؤدي لتجزئة الدولة إلى مجتمع فوضوي. هذا هو السبب في أن الحق في تقرير المصير يجب أن يقتصر على حالات استثنائية حقاً.

في سياق الاتحاد الأوربي،يرد متطلب قانوني إضافي في المادة (04)من معاهدة الاتحاد الأوربي(TEU) التي تلزمه باحترام السلامة الإقليمية لدول الأعضاء وأنظمتها الدستورية.

وفي ذات السياق تقول"Kathleen Cunninghan" هناك انتشار مكاني لتقرير المصير؛ تدعي أن بداية المطالبات المتعلقة بتقرير المصير في الجوار دولة ما، في السنوات السابقة تزيد من فرصة الحصول على مطالبات تبدأ في بلد ما في أي سنة معينة يبدو أن تقرير المصير معدياً".

إن دور الاتحاد الأوربي في تكييف استراتيجيات الانفصال و الانفراج المضاد يستحق اهتماماً خاصاً (**Closa**2016) للوهلة الأولى تبدو فكرة الانفصال عن دولة في الاتحاد الأوربي تتعراض مع فكرة عدم وضوح الحدود "الأقرب من الاتحاد "، كان الآباء المؤسسون للمجتمعات الأوربية يأملون في أن يؤدي إنشاء منطقة تجارة حرة إلى تحصين الأوربيين ضد الحروب وعلمانية القومية، وعلى العكس من ذلك فإن الاستقرار السياسي والسلام في معظم أوربا يعني أن الدول الصغيرة لا تغزوها دول أكثر قوة،وإنشاء اقتصاد أوربي متكامل مع سوق وعملة واحدة تضمن حرية حركة السلع ورؤوس الأموال والخدمات.

قبل عشرين عاماً كتب العالم السياسي الأمريكي " **Stephen Krasner**" كتاباً بعنوان " السيادة" لكن أكثر ما كان يدور حوله هو العنوان الفرعي "النفاق المنظم" Krasner"،ولدى تحليل العلاقات الدولية من منظور واقعي توصل الباحث إلى أن كل الحجج التي كانت تلبس في الخطاب المثالي كانت مظاهر لسياسة القوة.

قد يكون اهتمام الاتحاد الأوربي بمنطقة الباسك في المجال الاقتصادي أكبر دليل على هذا[1])

يمثل توليد النفايات في اقتصاد الباسك نسبة تصل إلى 7% من إجمالي استهلاك الأطنان لموارد الخام، أي 4.2%مليون طن سنوياً، وفي المقابل تحسنت الإنتاجية في غضون عشر سنوات فقط، توليد 1.5 إلى 2.9 يورو لكل كيلو غرام من الموارد المستخدمة،مما يدل على

(1) Diego Muro and Eckart woertz ,Secession and counter- secession An international Relations perspective,centre for international affairs,Barcelona ,2018,p19-20-21-22-31.

صناعة ذات كفاءة بيئية متزايدة،يشكل الاقتصاد الدائري أولوية في الاتحاد الأوربية من خلال خطة المفوضية الأوربية المنشورة حديثاً نحو اقتصاد دائري: برنامج نفايات صفر" لأوربا.

إن تعزيز الاقتصاد الدائري يعني اكتشاف حلول جديدة، وفرص تجارية تتطلب التعاون بين القطاعين العام والخاص لأجل تحضير التصنيع والمنتجات والاستهلاك والغرض منه هو تجاوز ما قد ينهي الحياة. وعليه الخطة الجديدة لمنع وإدارة النفايات العام 2020 في منطقة الباسك ذاتية الحكم ليس فقط لزيادة القيمة بما يصل إلى10 نقاط، 60% على الأقل ولكن أيضاً لتعزيز قيمة المواد الجديدة" إعادة التدوير"upcycling التي تولد مبادرات تجارية [1] كما قام الاتحاد بخنق الإقليم عندما استقبل المشروع الاسباني الفرنسي. يعتبر هذا المشروع المعنون بـ" 25 سنة من المشاريع العابرة للحدود بين اسبانيا وفرنسا" تحليل جيو سياسي للخطط ووكلاء المشروعات والنتائج الإقليمية أحد أهدافه هو خلق المعرفة وإجراء تحليل مشترك للمساحات الفرنسية الاسبانية عبر الحدود،يرأس المشروع مجموعة الأبحاث التحليلية الإقليمية والتخطيط البيئي في جامعة جيرونا(Girona) بمشاركة باحثين من جامعات بلد الباسك، perpignan-via Domitia Toulouse II-Le Mirail pais08 .

بدأ المشروع في 2012، أهم ما نتج عن المشروع مبادرة INTERREG من 1989 إلى 2020، في تسعينات القرن الماضي، دعم الاتحاد الأوربي سياسات التماسك من خلال عدد متزايد من المبادرات (INTERREG,LEADER EQUAL)وزيادة الموارد المالية، تم تأسيس المبادرة التي قد تكون الأكثر طموحاً في أواخر الثمانينات من القرن الماضي لتحفيز التعاون بين المناطق الأوربية على مستويات مختلفة(Perkmann,2003)،تم تمويل المشروع من قبل الصندوق الأوربي للتنمية الإقليمية (**E R D F**)، أحد أهدافها هو الحد من تأثير الحدود وتعزيز تنمية أكثر توازناً في المناطق الحدودية.

---

[1] Javier Agirre orcajo ,Economia circular en el pais vasco proyectos de demostracion para la reutilizacion de materiales, ver06-02-2018,en23 :02,In http://www.residourecurso.com /blog/wp-content/upload/econocircular.pdf.

إذن الهدف الأول لهذا البحث هو إنشاء قاعدة بيانات لاستخراج المعلومات لتفسير شامل للمناطق الواقعة على طول الحدود الفرنسية الإسبانية أهمها:

-احتواء وتصنيف جميع المشروعات العابرة للحدود منذ عام 1989م حتى يومنا هذا.

- السماح باستخراج المعلومات القيمة عن عدد ونوع أصحاب المصلحة المعنيين.

-تخطيط النتائج وتشغيلها عددياً باستخدام البيانات[1] .

إن فكرة الاتحاد في الحفاظ على لغات الأقليات هي فقط لتجنب الصراعات والانقسامات. فحماية الأقليات اللغوية والعرقية والدينية تؤدي بأوربا أكثر سلماً واستقرارًا،كما ورد في ديباجة الاتفاقية بشأن حماية الأقليات القومية (F C N M):" لقد أظهرت الاضطرابات في التاريخ الأوربي،أن حماية الأقليات القومية أمر ضروري للاستقرار والأمن والسلام الديمقراطي في هذه القارة".

دفعت فكرة الاعتراف بالتنوع الاجتماعي وضرورة تعزيز ثقافة ولغة الأقليات وحمايتها،مجلس أوربا إلى وضع معاهدتين: E C R M L و F C N M.

تعتبر E C R M L معاهدة دولية تهدف إلى حماية وتعزيز اللغات الإقليمية وتمكين المتحدثين من استخدام هذه اللغات في الحياة الخاصة والعامة، دخل الميثاق حيز التنفيذ 1 مارس 1998م،وبتصديقه أكدت دول الأعضاء في مجلس أوربا بأنها ملتزمة بحماية وتعزيز اللغة الإقليمية أو الأقلية في ولايتها،واعتباراً من عام 2017 وقعت33 دولة على المعاهدة و 25 صادقت فعلاً،و8 دول فقط وقعت أيضاً عليها، (Council of Europe.Ets 1992,p148).

-وتعتبر أيضاً F C N M أداة ملزمة قانونياً، تستخدم لحماية الأقليات القومية، والتي دخلت حيز التنفيذ في 1 فبراير 1998(Ibid,1994,p157) وللتصديق عليها يجب على الأطراف

(1) Jaune Feliu ,Analysis of cross-Border projects Between France and Spain 2007-2013,Stakholders and territorial inpact, see 24-04-2018, at 8 :11 pm,In http :www.eurogeography journal.eu/articles/Analysis %20 F% 20% cross-Border 20% proj…/jaune Feliu/2013.

تعزيز المساواة الكاملة والفعالة للأشخاص المنتمين إلى الأقليات في جميع مجالات الحياة،اقتصاديا،اجتماعياً،سياسياً،وثقافيا[1].

رغم كل هذه الضغوطات إلا أن رغبة الإقليم الانفصالية أخذت بعدًا ونطاقاً واسعين: ووفقاً لعالم القانون الدولي Stephen tierney فإن النزعة الإقليمية أو كما يسميها " القومية الفرعية للدولة " مثل تلك التي نراها في بلاد الباسك أصبحت منتشرة بشكل متزايد، حتى مع تزايد سيادة الدولة على المؤسسات فوق الوطنية مثل الإتحاد الأوربي–بكلمات السيدTierney: " وبينما يلاحظون التحديات الخارجية التي تواجهها الجمعيات الوطنية التابعة للدولة القومية،فإنهم يضعون طموحاتهم الدستورية في هذه البيئة. وفي هذا السياق تأخذ أهدافها الأساسية نكهة دولية متزايدة فمثلاً هدف تعزيز الاستقلالية الدستورية للفضاء الإقليمي للمجتمع لا يشير الآن إلى الدولة فحسب بل إلى عضوية المنظمات الدولية،إن البحث عن تمثيلية مؤسسية تحسيسية للمجتمع لا يستهدف الآن الدولة المركزية فحسب،بل المجتمع الدولي أيضاً والرغبة في الحصول على اعتراف عام بوضع المجتمع.. تتجه بشكل مماثل إلى الجهات الفاعلة الحكومية والدولية للحصول على رد".

تلتزم معاهدات الاتحاد الأوربي الصمت حول ما إذا كانت عضوية الاتحاد قد تنتقل تلقائياً إلى الدول التي نالت استقلالها من إحدى الدول العشرون في الاتحاد الأوربي.

وردًا على استفسار قدمه عضو في البرلمان الأوربي في "welsh" ذكر رئيس المفوضية الأوربية Romano prodi في أفريل 2004أن المنطقة المستقلة حديثاً من واقع استقلالها، ستصبح دولة ثالثة فيما يتعلق بالاتحاد الأوربي والمعاهدات" مع ذلك فإن معارضي Prodi يزعمون أن تعليقاته كانت خاطئة، أشار زعيم الحزب القومي الاسكتلندي John Swinnuy إلى أن تصريح prodi جاء من أجل مصلحته السياسية الخاصة وانه" كان يلعب أمام

(1) Van Dongera and others , Research for C U L T comimittee-minority languages and education : best practices and pitfalls,see24-04-2018,at19 :35pm.In.http://www.europa.eu/Re Data/eutudes/STUD/2017/585915/IPol-STU%28 2017.29%.589…

جمهور محلي في بلده، إيطاليا"، حيث كانت عصبة الشمال تدعم استقلالها. إن الموقف الذي يجب على الاتحاد اعتماده هو أن يثبت أنه الأكثر فائدة، للإتحاد الأوربي ككل.

قد تكون هناك حجتين أساسيتين لدول الباسك، التي تحتفظ بعضوية الاتحاد الأوربي دون الحاجة لإعادة تقديم الطلب؛

1-هو أن بلاد الباسك أصبحت عضوًا رسمياً في الاتحاد الأوربي في 1986م لاعتبارها جزء من اسبانيا منذ ذلك الحين امتثلت بالكامل لجميع الالتزامات المطلوبة منها كعضو في الاتحاد الأوربي.

2- من حيث اللوجيستيات،فإن السماح لعضوية الإتحاد الأوربي بالترحيل(الباسك عن إسبانيا) لن يسبب أي ضغط مالي كبير على ميزانية الاتحاد حيث أن جميع الباسك أعضاء في الاتحاد تحت إسبانيا وسوف ينقذ مؤسسات الاتحاد.

إن هناك ما ينفي الحجتين، والتي تعتبر بمثابة عثرات تحول دون نجاح الإقليم في تطلعاته.

أولاً: تعمل المفوضية الأوربية حاليا بكامل طاقتها مع مجموعة 27 دولة عضو ممثلة وهو الحد الأقصى المسموح به بموجب معاهدة " Nice" تتطلب زيادة عدد المقاعد في البرلمان واللجنة والمجلس موافقة جميع الدول الأعضاء، ومن المؤكد أن إحدى التعقيدات أثناء التصديق على المعاهدة ستنشأ بسبب احتمال معارضة اسبانيا لأي توسع في الاتحاد يشمل انضمام الباسك، وفي حالة السماح بالانضمام فإنه يجب أيضاً إعادة حساب نسبة التمثيل الممنوحة لكل دولة عضو مثل لجنة الأقاليم.

ثانياً: مع إدخال دولة عضو جديدة، ستأتي الحاجة إلى إعادة تخصيص أموال الاتحاد الأوربي، يجب إعادة تخصيص الأموال حالياً في إسبانيا لمنطقة الباسك، تتطلب قرارات الميزانية موافقة مجلس المؤسسة التي تمثل المصالح الوطنية ومن المرجح أن تعارض اسبانيا إعادة التخصيص بقوة، بموجب شروط التسوية اللكسومبورغية،عندما تتعلق قضية ما أمام المجلس بمصالح مهمة لدولة عضو،يحق لهذه الدولة حق النقض وإذا استخدمه اسبانيا ضد قرار إعادة التخصيص المالي سيتعين على الإتحاد الأوربي البحث عن وسائل بديلة

لتمويل عضوية الباسك، وهذا من شانه أن يشكل عبئاً مالياً لجميع دول الأعضاء في الاتحاد الأوربي[1].

كل هذه العراقيل توضح رغبة الاتحاد الأوربي عموماً وإسبانيا خصوصاً بعدم السماح للإقليم بان ينفصل، يبدو ذلك واضحاً، فعند انعقاد اتفاقية فيينا لعام 1978 لم تصادق بشان خلافة الدول سوى 33 دولة في العالم وبالتحديد لم تصادق اسبانيا ولا الاتحاد الأوربي.

وبقاء اسبانيا مرهون ببقاء الباسك فالقدرة على الاستقرار في الانضمام إلى الإتحاد الأوربي هي أمر يطابق إلى حد كبير المطالب الانفصالية للدول الأوربية وفي ذات السياق، هناك حكمة متداولة بأن الدول ستنكر دائماً مطالب الانفصال، الأرض قيمة وأكثر أهمية بالنسبة للصورة الوطنية.إن فكرة الدولة ذات السيادة تستند إلى السيطرة الإقليمية[2].

المطلب الثاني: قيمة الموقف الفرنسي تجاه الإقليم

شكلت فرنسا حاجزًا أمام إقليم الباسك وطموحاته،حيث حرم من ممارسة حقوقه الإدارية والتي تعرف بنظام los fueros. إن بلاد الباسك لا يتمتع باستقلالية إدارية فبعد الثورة الفرنسية تم دمجه في ولاية البيرينيه السفلى بالإضافة إلى مقاطعات بيرن،وحاليا غالبية القوى السياسية والاجتماعية تطالب بجهة مستقلة إداريا داخل فرنسا[3].

كما أن فرنسا استغلت انقسام الباسك (07 مقاطعات)، بينها وبين إسبانيا،معتبرة أنه لا يحق التعامل بين هذه المقاطعات،والسبب حسبها– الحدود؛ وهذا ما حصل عندما أراد الحزب الباسكي القومي المنشأ في الباسك الإسباني دعم منظمةI parralde (E A J).

---

(1) Lindsay Murphy ,EU Membership and an Inedepedent Basque state,published9-2007/see27-04-2018, at11 :19pm.In http:// digital commons-pace-edu/cgi/view content.cgi ? article=10 70 y contesct=pilr.

(2) Diego Muru and Eckart woertz,op-ct,p49-53-79.

(3) رامون زايو وميكيل أيوصو، تعرف على إقليم الباسك رحلة إلى داخل ثقافته،تاريخه،مجتمعه، ومؤسساته،مرجع سبق ذكره،ص 08.

فمن خلال المادة 34 من اتفاقية حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية،أنشئت بموجب قانون فرنسي والحزب الباسكي القومي المنظمة الإقليمية(Iparralde) وهو الطرف المتقدم بالطلب في 25 أفريل 2001.

كانت الأطراف الممثلة أمام المحكمة J. Chalbaud والسيد Quintana I و A.Carballo وهم محامين في بلباو(Bilbao)، وكانت المحكمة الفرنسية ممثلة بوكيلهم السيدة E.Belliardمدير الشؤون القانونية بوزارة الخارجية،أعلن قبول الطلب بموجب قرار بتاريخ 05 أكتوبر 2006.

تم تأسيس (طرف مقدم الطلب) كرابطة على أساس قانون الجمعيات المؤرخ في 01 يونيو 1901، اسمها Euzko Alderdi jeltzalea (E A J) ومكتبها المسجل في بايون(فرنسا).

ينص دستورها الصادر في 19 -أب أغسطس 1996 على أنها تشكلت كفرع إقليمي ل E A J و PNB في مقاطعات La burdi (la bourd-، Benfarroa (wavarre lowér)،و Zuberoa (Soule) وتعتمد الإيديولوجية القومية لـPNBو EAJ.

شكل الطرف مقدم الطلب جمعية تمويل و وفقاً للقسم 11 من قانون الحياة السياسية (الشفافية المالية) الصادر في 11 مارس 1988.وفي 16سبتمبر 1998 تطبق على اللجنة الوطنية المعنية بحملات انتخابية وتمويل سياسي اللجنة الوطنية للسياسات النقدية والسياسات المالية–CCFP) في 11 يناير 1999 رفضت CCFP الطلب مع ذكر الأسباب.

ُطلب من CCFP أن تأذن لجمعية تمويل الحزب الوطني الباسكي،بأنه رابطة التمويل التنظيم السياسي بالمعنى المقصود في المادة 11–03–1988 بصيغته المعدلة.

لوحظ في رأي اللجنة المنشور في جريدة الرسمية 18 نوفمبر 1998... واعترف به رئيس الحزب مقدم الطلب في رسالته المؤرخة 20 يناير –كانون الثاني 1999 بأن الطرف يتلقى أموالاً من حزب PNV .

القسم 11–04 من قانون رقم 88–227 في 11مارس 1988،بموجب المادة 16–01 من القانون رقم 95–65 من 19 يناير 1995 يحظر تمويل حزب سياسي من أي كيان قانوني أجنبي.

وفي 22حزيران–يونيه 1999 قدم الطرف طلباً لـCCFP لإعادة النظر في قرارها الرافض في قرار صاغه على النحو التالي:

فيما يتعلق بغياب(المزعوم) لحظر تمويل حزب سياسي فرنسي من قبل حزب سياسي أجنبي: بعد مقارنة أحكام المادة 08–58 من قانون الانتخابات المطبقة على الحملات الانتخابية،والمادة 16–01 من قانون 19 يناير 1995،يزعم مقدم الطلب أن 16–01... ينص ببساطة على أنه يمكن للحزب السياسي أن يمول حزباً سياسياً أخر وأنه خلافاً للموقف المتعلق بالحملات الانتخابية،لا يحظر أي نص في أي قانون أو أنظمة صراحة تمويل حزب سياسي أخر بموجب قانون بلد أجنبي.

– تتجاهل هذه الحجة القسم الفرعي من المادة 11–04 من قانون 1988 المعدل بموجب قانون 1990و 1995 الذي ينص على ما يلي لا يجوز لأي اتحاد مالي أو وكيل مالي أن يتلقى مساهمات مباشرة أو غير مباشرة، أو مساعدة مادية من دولة أجنبية ....

– في 13 أيلول 1999 طلب المتقدم بالطلب مراجعة قضائية لهذا القرار إلى مجلس الدولة المادة من قانون الحياة السياسية(الشفافية المالية) (القانون رقم 88–227 المؤرخ 11 أذار 1988) في صياغة ناتجة عن قانون رقم 90–55 من 15 يناير 1990 تنص على أن الأحزاب السياسية ومنظماتهم الإقليمية والمتخصصة تجمع الأموال من خلال الوسيط (الوكيل)[1].

[1] LouKis Loucaides y otros , Case of parti nationalist Basque-organisation régional diparralde V.France(Aplicacion no.7125/01),published2/2/ at12.3 :52pm, see24/04/2018,at 23 :08pm In http://www.incnl/research/library/fils/France/parti%20 Nationalist %20 Basque %20 -/20organ…

إضافة أن الإقليم يواجه مسألة عدم الاعتراف والتي تتعلق بهويته " اللغة " والتي تعتبر رمز ثقافته،وقوة بقاءه.

يعد نظام القانوني للغات الأقليات في فرنسا موضوع خلافات؛من جهة يعارض أولئك الذين يفضلون سياسة استباقية للدفاع عن اللغات الإقليمية والترويج لها باسم الهوية والتعددية،ومن جهة أخرى أولئك الذين يخشون من أن تحرير هذه اللغات في الفضاء العام هو فرصة لزيادة الطائفية،التي تعرض مبدأ المساواة للخطر والذي يعتبر مهم في جمهوريتنا. تبلور النقاش حول مشكلة التصديق على الميثاق الأوربي للغات الأقليات لعام 1992 الذي وقعته فرنسا عام 1999.

إن التصديق على الميثاق الأوربي أتاح فرصة لمجلس الدولة ولمجلس الدستوري لوضع قائمة العقبات،حيث يخضعون اللغات الإقليمية لنظام التقييدات،فمن ناحية لا يمكن تطبيق متطلبات المادة09 التي تجعل من الممكن استخدام لغة غير الفرنسية أمام المحاكم الجنائية والمدنية والإدارية وأن لا تجهل التزامات المادة 02 من الدستور(التي تعترف بالفرنسية لغة الجمهورية) ومن ناحية أخرى إذ كان اختيار بعض التدابير الهامشية المنصوص عليها في المادة 10 فيما يتعلق باستخدام اللغات الإقليمية أو لغات الأقليات من قبل السلطات الإدارية والخدمات العامة لا يتعارض مع الدستور فإن هذا الخيار لن يسمح بإعفاء الاتساق للسياسة التي كانت ستلزم بتنفيذها في الجزء الثاني والتي تتكون من تشجيع استخدام هذه اللغات في الحياة العامة نفسها الحياة الخاصة.

هذه العناصر يتم تأكيدها من قبل مجلس الدستوري في قراره 1999 حيث يرى المجلس الدستوري أن الأحكام المشتركة للميثاق الأوربي للغات الأقليات أو الإقليمية بقدر ما تمنح حقوقاً محددة لمجموعة من المتحدثين بلغات الأقليات داخل "الأقاليم"،تنتهك مبادئ الدستورية لعدم تجزئة الدستور للجمهورية والمساواة أمام القانون ووحدة الشعب الفرنسي أيضاً تتناقض هذه الأحكام مع الفقرة الأولى من المادة الثانية من الدستور لأنها تميل إلى الاعتراف بحق ممارسة لغة أخرى غير الفرنسية ليس فقط في الحياة الخاصة بل حتى في الحياة العامة.

إن التصادم بين الميثاق والدستور يثير سمتان رئيسيتان:

الميزة الأولى: تميل إلى استبعاد أي فكرة تميل لمنح حقوق محددة للمجموعات،إن فرنسا لا تعترف بوجود مجموعات في أراضيها أي أقليات عرقية ودينية ولغوية،والمفهوم الذي تدافع عنه هو مفهوم فردي وعالمي.

هذا ما دفع بالمجلس الدستوري باسم مبدأ عدم تجزئة الجمهورية ووحده الشعب الفرنسي إلى رفض الاعتراف بقانون الشعب " الكورسيلي" داخل فرنسا وحسب ما أدلى بها المشرع أن شعب "**Corso** " مكون للشعب الفرنسي، هذا يتعارض مع الدستور الذي يعرف فقط الشعب الفرنسي دون تمييز في الأصل أو العرق أو الدين.

– **الميزة الثانية:** من الالتزام باستخدام اللغة الفرنسية في المجال العام وهو التزام قديم للغاية تمت صياغته في عام 1992 من خلال إدخال المادة 02من الدستور والتي تنص على أن لغة الجمهورية هي الفرنسية، ينطوي هذا الالتزام على سبيل المثال أنه لا يمكن قبول أي مطالبة مكتوبة بلغة إقليمية من قبل أي سلطة قضائية[1].

وعليه يبدو أن فرنسا تعرقل كل ما من شأنه أن يدفع بالإقليم للانفصال ومعارضة حتى الاتحاد الأوربي في أيار –مايو 2008 عندما ناقش البرلمان الفرنسي وضع لغة الباسك في فرنسا،وتبع ذلك إعلاناً لوزير الثقافة **Christine Albanel** أن فرنسا لن تصادق على الميثاق الأوربي للغات الأقليات على الرغم من أنه تم التوقيع عليه عام 1999[2].

يبدو أن هذا وبشكل غير مباشر يجعل من دول الاتحاد في تناقض إزاء وضع الأقليات فدراسة التأثيرات المحتملة التي قد يفرضها الاتحاد الأوربي على هذه الأهداف القومية تقدم تفسيراً مقنعاً للاختلاف في دعم المزيد من التكامل،وإن الهدف القومي للأحزاب اليمنيية مثل الجهة الوطنية الفرنسية هو حماية ما يعرفونه بالفرنسية في المجموعة من التأثيرات الأجنبية،

(1) Olivier lecup ,Le regimen juridico de las lenguas regionales en Francia y el problema de la ratificacion de la carta Europea de las lenguas regionales y ninoritarias , es necesario revisar la constitucion ?, Revista catalana de dret public,num51,2015,pp144,146,147.

(2) Javier Retegui ,The legal status of The Basque language Today :one language,Three administrations,seven different geographies and Adisporasee24/04/2018,at 17 :26pm-In http://www.evsKonews-com/0463ZbK/ene-120.pdf.

هكذا تدعم الجبهة الوطنية سياسات الهجرة الصارمة، وهوية وطنية فرنسية متجانسة مثال يصدر **Front** تم انتخابه مؤخرًا من الجبهة الوطنية عناوين الصحف عندما أعلن أن الموظفين العموميين الخاضعين لسيطرته سوف يتكلمون الفرنسية فقط(Daley 2014) وباستخدام نموذج " **Topaloff** " نتوقع أن يكون موقف الجبهة الوطنية كطرف هامشي يعني أنها ستنحني فوائد من تبني منظور متشدد (**EurosKeptic**)من أجل تفويض الأحزاب السائدة التي تسيطر على الحكومة المركزية،وهذا ما يتفق مع الجبهة الوطنية بشأن الاتحاد الأوربي عندما أدركت أن الإتحاد لن يقيد الأحزاب الرئيسية،لكنه سيعززها أكثر،فتبنت الجبهة موقفاً متشدداً، هذا ما حصل عندما أراد حزب **PNV** دعم حزب **EAJ** مالياً .هنا يكون الهدف الرئيسي هو الحفاظ على الحدود بين المجموعة الفرنسية والمجموعة الخارجية غير الفرنسية (الفصل بين PNV و EAJ على أساس عدم التوافق الحدودي)[1].

المبحث الثاني: وضعية الإقليم بعد استفتاء الانفصال

يبدو أن موقف الإقليم بعد استفتاء الانفصال أصبح بين مؤيد ومعارض للحكومة الإسبانية؛ فالمؤيد فقط من حيث مبدأ السلام وليس الخضوع التام وهذا ما اتفق حوله القوميون الباسكيون مع الحكومة الباسكية،أما المعارض فهذا ما انتهجته منظمة إيتا متخذة بذلك أسلوب العنف الطريق الوحيد للإنفصال.

المطلب الأول: نحو العودة إلى إسبانيا

بدأ إقليم الباسك يُدرك أن العنف ليس هو الأسلوب الأصح في تحقيق الاستقلال، خصوصاً لما تعرض له شعبه من قهرٍ وقتل وتعذيب من طرف حكومة إسبانيا، لمحاولته دعم المنظمة الارهابية " **ETA**".

(1) Alison Uzdella,changing structure,changing Identities :A Rational choice escamination of Basque National Identity,In partial fulfillment of The requirement for The degree of doctor of philosophy in The field of political science,2014,pp :238-339.

توحدت نظرة الحكومتين (الباسكية والإسبانية) حول ضرورة القضاء على العنف ومنه تحقيق السلام، لكن هذا لا يعني أن شعب الباسك هو في رضى عن ما قامت به الحكومة الإسبانية، لكنه فقط اختار" مبدأ الإنسانية والحرية الفردية" على فكرة " الانفصال العنيف" لقد كان مقتل ETA لسياسي محلي من إقليم الباسك نقطة تحول لمئات الآلاف من الباسكيين الذين اظهروا للمرة الأولى معارضتهم لحملة العنف التي شنتها " إيتا" [1].

وبهذا في 11 يوليو 2013 قدمت حكومة إقليم الباسك خطة السلام والتعايش 2013/6 كمقترح. ومن تلك اللحظة حددت فترة ثلاثة أشهر لتقديم المساهمات من قبل المجموعات البرلمانية والشبكة النقابية والمواطنين أنفسهم.

إن السلام والتعايش يتطلبان الاعتراف بالظلم والعنف، والأضرار، وبكرامة الضحايا، وجميعهم يستحقون الحق في العدالة والتعويض (الاتفاقية البرلمانية 14 مارس 2013).

في إطار الاعتبارات المطروحة، يتم تلخيص الإجراءات المقترحة من قبل خطة السلام والتعايش وهي من سبعة (07) خطوات:

الخطوة 1: التكليف بتقرير يُثبت انتهاكات حقوق الإنسان التي وقعت منذ عام 1960 لتحديد مكان وكيفية التصرف فيما يتعلق بتوضيح الماضي والاعتراف بالضحايا ومن ثم الإصلاح.

الخطوة 2: إنشاء معهد " للذاكرة والتعايش" يدير التراث الذي يمثل تعددية الذكريات الديمقراطية في مواجهة الأحداث العنيفة والصادمة خلال 80 سنة الماضية.

الخطوة 3: المساهمة في إنشاء نصب تذكاري محدد لضحايا الإرهاب الذي يحدد تنصيبه في أوسكادي قانون الاعتراف وحماية ضحايا الإرهاب في مادته57.

الخطوة 4: تأكيد الاستمرارية لعمليات الدعم والاعتراف والتعويض لضحايا الإرهاب التي طورتها حكومة الباسك لأربعة هيئات تشريعية.

الخطوة 5: تطوير وتوسيع عمليات التعويض لضحايا انتهاكات حقوق الإنسان الناجمة عن مكافحة الإرهاب.

---

[1] Nigel Quinney and A.Heather coyne , Talking groups That use Terror,united states unstituted of peace, washington,2011,p89.

الخطوة 6: إجراء تحقيق حول الحدوث الحقيقي لظاهرة التعذيب من أجل تبني إجراءات الاعتراف

الخطوة 7: تعزيز اتفاقية صغيرة من الالتزام الأخلاقي لتقييم نقدي للماضي مع الإرادة والعزم.

لكن يبقى هذا المشروع يواجه مشكلته " عدم الثقة " والتي يرجع أصلها إلى الأثار المدمرة العنف، انتهاكات حقوق الإنسان الانقسامات والتوتر.

وفيما يتعلق باستعادة التعايش الذي تضرر من العنف، فإن البحث عن التوافق الأساسي هو الطريق الرئيسي للمضي قدماً،إلا أن هذا يتوقف عند مفهوم الثقة والتي سببها يكمن في:

-الخوف من أن نهاية عنف " إيتا" يعني طي الصفحة عن كل ما عاناه في الماضي، دون توضيح أو اعتراف أو نقد صريح.

- الخوف من أن الذاكرة وشرف الضحايا سيتم نسيانها من خلال نظرة تتركز فقط على المستقبل والغموض مع الماضي.

-الخوف من أن القصة التي تبرر عنف" إيتا" يمكن صياغتها على أساس نظرية عنف.

-الخوف من أن نهاية عنف " إيتا" سيتحول إلى عملية إذلال أو تبرئة أو تهميش ضد جزء من المجتمع.

- الخوف من أن يترك السلام والمصالحة مسألة السجناء، وسياسة سجنهم خارج نطاق إجراءاتهم إقليم الباسك) [1].

إضافة لمبادرة الأمانة العامة للسلام والتعايش الباسكي من خلال مشروع بحثي في عام 2014 والذي كان بأمر من معهد الباسك Euskal Kriminnologiaren Institutua من U P V/EHU، يشكل جزء من المبادرة رقم 6 المدرجة في " خطة السلام والتعايش 6/2013".

(1) I dazkaritza Nagusia , plan de paz y convivencia publicacion 2013/6,16/11/2013ver13/04/2018 en16 :39.p26-27, In https://www.Irekia-euskadi.eus/uploads/attachment/3814/propuesta-del -plan-de-y -convi...

يتضح في هذه المبادرة أنه لمجرد الاشتباه بوجود التعذيب يجب أن يقود أي شخص أو مؤسسة ملتزمة بقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان للتوضيح و اتخاذ التدابير اللازمة لمنع هذه الظاهرة.

هناك تقارير رسمية توضح ذلك:

–تقرير عن ضحايا انتهاكات حقوق الإنسان الناتجة عن العنف و الدوافع السياسية (2008) بقلم Jon Mireno Landa مدير حقوق الإنسان في حكومة إقليم الباسك.

– توثيق التعذيب للمعتقلين بمعزل عن العالم الخارجي في بلاد الباسك من 2000 إلى 2008" النهج العلمي " (2009) بقلم J.M.1 مدير حقوق الإنسان في بلاد الباسك.

إضافة للهيئات الدولية المختصة في دراسة التعذيب وإساءة المعاملة مثل اللجنة الأوربية لمنع التعذيب، ولجنة مناهضة التعذيب التابعة للأمم المتحدة، فضلاً عن المنظمات غير الحكومية مثل منظمة العفو الدولية، وقد اعترفت من بينهم منظمة مراقبة حقوق الإنسان في تقاريرها عن قلقها من أن ظاهرة التعذيب في إسبانيا لا يمكن التغلب عليها، لأن وجودها لا يمكن أن يكون عرضي[1].

يصر إقليم الباسك على أهمية الذاكرة، باعتبارها حق ومطلب أساسي وبهذا فقط يستطيع أن يراهن على مشروع " السلام والتعايش" في ظل الدولة الاسبانية ووفقاً لـ Schreiter (2008) فإن قطع المجتمعات عن الذاكرة يجعلها قصيرة النظر، وإن قيام المجتمعات بقطع الذاكرة يمكن أن يجعلها متفجرة بشكل خطير(Schreiter=2008,p9.

ركز إقليم الباسك أثناء بناءه لمشروع السلام على ثلاثة نقاط أساسية:

أولاً نهاية عنف ETA:

(1) Francisco Etsceberria y otros ,proyecto de investigacion de la tortura y malos tratos en el pais vasco entre 1960-2014,ver16-12-2017,at 13-04-2018,16: 45pm, In http:/www.irekia.euskadi.eus/uploads/attachments/10779/INFORME-FINAL-investigacion-to…..

البعد الرئيسي لسلام دائم وفقاً لجميع المخبرين هو غياب العنف (عنف إيتا) حيث أوضح السياسي الاشتراكي Enrique Ramons في San Sibastian/Bonestia " أن ابنته ستنمو بسلام الآن، حيث لم يعد هناك عنف إيتا " واعتقد أيضاً أن جيل ابنته سيكون قادرًا على العيش معاً، لأنه لن يتعرض للعنف في المجتمع بعد الآن، ولكن كما أوضح Ibarretsce" لا يمكننا التظاهر بأنه لم يحدث شيء حسناً ؟ (هذا ما تحدثنا عنه سابقاً).

إن مجتمع الباسك بحاجة إلى الاستقرار، كما يقول paul Rios: إن المجتمع الباسكي يحتاج إلى نزع السلاح للقضاء على أي نوع من التهديد." وفقاً للمخبرين فإن نزع السلاح سيظهر التزاماً من جانب " إيتا" بعملية السلام، واستمرارًا لنضالها غير العنيف من أجل الاستقلال.

وفيما يخص مسألة التفاوض، فغالبية المواطنين في مجتمع الباسك يدعم المفاوضات بين الحكومة الإسبانية وإيتا، بنسبة 50% والثلث الآخر يدعم المفاوضات في حالة تم نزع السلاح، و3% فقط هي ضد المفاوضات تماماً أما الحكومة الاسبانية فهي ترفض المفاوضات، ووفقاً لعالم السياسة Blas Mendoza: "إسبانيا " حسنا لقد فزنا بالحرب ولا نحتاج إلى القيام بأي شيء" كما أوضح أن الحكومة الإسبانية تدرك تماماً أنها فازت في حرب عسكرية، لكنها لم تكن حرب سياسية، لذلك لا يوجد أي نوع لبناء السلام، لأنهم يعرفون أن هذه الحرب ستستمر(Blas.M).

في عام 2000 تم تأسيس حزب يساري قومي جديد في الباسك هو " حزب Azalar"، لقد كان يعارض علانية النضال العنيف لإيتا، ويعتبر Julen Madariaga أحد مؤسسيه.

كما أن العلاقة بين عنف " إيتا" وحركة Abertzale اليسارية معقدة، خاصة منذ 1990م في القرن الماضي عندما بدأ عدد متزايد من الأعضاء البارزين ينأون بأنفسهم عن الكفاح المسلح؛ أوضح عالم الاجتماع Elzo، وأستاذ العمل الاجتماعي IKer Uson الذي يعمل أيضاً في منظمة BaKeTiK (وهي منظمة تشارك في التحول الأخلاقي للمجتمع)، تكمن

أهمية اعتراف اليسار الأبرتزالي إلى أن العنف الذي تمارسه " إيتا" كان غير مبرر أخلاقياً، بالإضافة إلى الاعتراف بالضرر الناجم عن هذا العنف[1].

قامت الحكومة الاسبانية بالعمل على إنهاء إيتا وذلك من خلال تطوير قانون مكافحة الإرهاب الإسباني إلى قانون مكافحة الجماعات المسلحة. في عام 1978م أقر البرلمان الاسباني المنتخب حديثاً قانون الجرائم المرتكبة من قبل الجماعات المسلحة موسعاً بذلك صلاحية الشرطة ضد الأعضاء المشتبه في قيامهم بمنظمات تمارس العنف.

تعززت سياسة مكافحة الإرهاب في أعقاب انتخاب حكومة **Felipe gonzalez** الاشتراكية 1982 تم إصدار قانون شامل لمكافحة الإرهاب في عام 1984م والذي سمح بحظر الأحزاب السياسية التي يقودها الإرهابيون المدانون.كما قامت الحكومة بعزل أي شخص بإمكانه مساعدة الجماعات المسلحة. يشمل نطاق الجرائم المرتبطة بالجماعات تلك النشاط" الذي يُروج أو يُشجع أو يدير" مثل هذه المنظمات(المادة 571، الفقرة الأولى). في هذا الصدد يقول وزير الداخلية **Mariano Rajoy**: إن الإرهاب ليس فقط الشخص الذي يقتل ولكن أيضاً من يساعد أو يأوي أو يمول أو يشجع الجماعة سياسياً(The Telegraph- oct-2001,18).

ساعدت حكومة **Aznar** في بناء هذا النظام الواسع لمكافحة الإرهاب أطروحة قاضي المحكمة الوطنيةBattasar Garzon التي حولت بالكامل وجهة النظر " لإيتا" إلى حقيقة قانونية راسخة، ووفقاً لـ Garzon فقد تراجعت حظوظ " ETA" في أواخر الثمانينات بسبب تعاون الشرطة الإسبانية والفرنسية الأكثر فاعلية [2].

ثانياً: مسألة السجناء:

---

(1) Mar –Liza Ras :Orain Herria,Orain BaKea ,Local perspectives from Basque nationalists ona lasting peace in The Basque country,published25/01/2016see16/04/2018 at22 :37.p19-63-65-66-67 en In http://Theses . ubn.ru.nl en bitstream/handleII23456789/854/Ras-Mar-Lisa-pdf.

(2) Philippe Eugéne Duhart , Between Ballots and Bullets :Armed struggle and peacema King in Northern Ireland and Basque country, Adissertation submitted in partial satis faction of The requirements for The degree Doctor of philosophy in sociolohy, university of california,Los Angles,2017,p150-152-153-154

تعتبر هذه القضية مهمة لدى شعب الباسك،إذ يريد من الحكومة الإسبانية القيام بنقل مقر السجناء إلى إقليم الباسك، وكذا إعادة دمجهم باعتبار هذا حق طبيعي.

أظهر استطلاع للرأي العام في جامعة الباسك (U P V) Eusko Barametro أنه في نوفمبر 2011 (بعد إعلان إيتا عن وقف دائم لإطلاق النار)دعم 33% من مواطني مجتمع الباسك المستقل ذاتياً إعادة دمج السجناء دون أي استثناءات في ماي 2015 ارتفع هذا العدد إلى 50% مع تأييد 63% من المواطنين الباسكيين لهذا. وانخفضت نسبة فكرة الذين يعتقدون أن على السجناء أن يكملوا عقوبتهم بشكل طفيف من 24% في عام 2011 إلى 19% في عام 2015.

يتم عقد مظاهرات لأجل السجناء الباسكيين كل يوم جمعة في كل عام يقام في يوم السبت من يناير / كانون الثاني مظاهرة كبيرة، تتم فيها المطالبة بوضع حد لسياسة الشتات وإحضار منزل سجين الباسك.ففي عام 2014 عندما دعمتPNN- E A J بشكل علني المظاهرة، كان الممثلين يسيرون بشكل بارز في الخطوط العريضة الأمامية، حيث تم إحضار أكثر من 100.000شخص إلى شوارع بلباو(Gastaca,2014). ومع ذلك لم يكن لهذه المظاهرات الجماهيرية أي تأثير على سياسات السجون، فقد أوضح المخبرين أن السلطات الاسبانية تتجاهل هذه المظاهرات، قال أحد المخبرين علينا النظر إلى قضية السجناء وعائلاتهم كمسألة حقوق وحقوق الإنسان وحقوق قانونية وحتى تنظر إلى هذا النمو فسوف يكون دائماً متقاطعاً من قبل المصالح السياسية (Sare) من جهة أخرى يعتبر podemos أول حزب على مستوى الأمة يتحدث عن سياسة التشتيت، وعلى الرغم من هذا ليس سهلاً بالنسبة للسياسيين الأسبان لأن الصحيح في إسبانيا هو أنه يجب عليك دائماً أن تدعم ما يقوله الضحايا وإذا قلت أن سياسة الانتشار شيء غير إنساني فأنت تدعم إيتا" صحفي"، فبعد أن تحدث **Pablo Iglisias** رئيس حزب **podemos** عن سياسة التشتيت باعتبارها، انتهاكاً لحقوق الإنسان، انتقدته الأحزاب والصحف الرئيسية على ذلك (Lazaro

2014)[1]، ومن قضية السجناء هي مهمة الاعتبارات وحقوق إنسانية، وذلك من خلال فرصة إدماجهم ليعيشوا الحياة كالبقية، يقول أحد المخاطبين: كما ينبغي لنا أن نرى إمكانية إعادة إدماج كل ذلك الجزء من الإرهابيين، وعليهم أن يعيدوا بناء الحياة[2].

ثالثاً: العدالة الانتقالية والمصالحة

هذا العنصر مهم لاستكمال عملية السلام بالنسبة لإقليم الباسك.وأهم نقطة يسعى لتحقيقها الإقليم هنا، هي " **التطبيع السياسي** "؛ ففي 12 يناير 1988م تم التوقيع على الاتفاقية المعروفة باسم ميثاق **Ajuria Anea** والتي يطلق عليها رسمياً اسم: " تطبيع وتسييس يُوسكادي [3].

ويقول حزب Podemos: الآن لا توجد " ETA" فما عُذرك إسبانيا؟ (Losu del Moral) [4]موضحاً بأنه ما من داع أن تتهم الحكومة الاسبانية أحزاب الباسك بأنهم غيروا قانونين أو سياسيين؛ ففي عام 2003 وفي أعقاب رفض حزب Herri Batasu إدانة جريمة القتل التي أحدثتها" إيتا" لعام 2002 أعلنت المحكمة الوطنية أن HB غير قانوني وهو حكم أيدته أيضاً محكمة حقوق الإنسان التابعة للإتحاد الأوربي في عام2009 (بورن، 2015/2012). كما حظر الحكم عام 2003 خليفة الحزب(Euskal Herrit (HB والأحزاب والقوائم الإنتخابية [5].

إذن بناء السلام لا يتوقف على إنهاء العنف فحسب، بل يتعلق بتحويل العلاقات وبناء الجسور بين الناس أو المصالحة بينهم (Galtumy 1969,Anderson,2004, Bar.on,Mongbe ,del picchia 2004,whittaker 1999,Ledorach,1997)[6].

المطلب الثاني: زيادة راديكالية الحركة الانفصالية

---

(1) Mar-Lisa-Ras,op-ct,pp ,67-69.

(2) XAvIER Minguez Alcaide , una aproscimacion psicosocial al conflicto vasco construyendo la paz en espacio Abierto ,thesis doctoral , 2013,p272.

(3) T scema Ramirez ,prensa y conflicto vasco (1975-2016): recopitatorio de actitudes y vicisitudes,Revista latina de comunicacion social, N71,2016,p1014.

(4) Mar-lisa-Ras,op-ct,p71.

(5) Phili Eugéne Duhart,op-ct,p158.

(6) Mar-Lisa-Ras,op-ct,p74.

لقد زاد الحاح إقليم الباسك على الانفصال خصوصاً من قبل منظمة "إيتا"، التي ترى في العنف أداة فعالة لنيل الحرية والاستقلال، خصوصاً وذلك بعد قانون الاستفتاء الذي منح للإقليم في 25 أكتوبر 1979م.

كانت الديمقراطية الإسبانية أكثر دموية في أوربا،ومن المثير للاهتمام أن معظم النشاط الإرهابي حدث في المرحلة الأخيرة" المرحلة الانتقالية "، بعد إجراء أول ديمقراطية في يونيو 1977م،خاصة بعد موافقة على دستور 1978م، كانت السنوات الأكثر عنفاً في اسبانيا(1979–1980)، أنه يجب أن يكون هناك عنف؛ لأن النظام لا يزال في طور التكوين ويمكن استخدام الأسلحة لتعديله في الاتجاه المرغوب.لذا قررت معظم الجماعات المتطرفة مع المزيد من التفضيلات السياسية المتصلبة عدم المشاركة في اللعبة الديمقراطية وفي هذا الصدد صرح زعيم" ETA" José Miguel Benaran Argala في كتاب" Zutik 69" عن فرض تكلفة على الدولة إلى أن تقرر أنها تفضل التخلي عن السيادة في بلاد الباسك،بدلاً من الاستمرار في دفع التكاليف"[1].

لقد كان هناك دعم كبير وإصرار في أن أسلوب العنف مع الحكومة المركزية وهذا ما قد يحقق النصر ؛ وهذا حسب ما أكده De Nardo (1985) يجب على جميع الجماعات الإرهابية أن تصارع بين إستراتيجية تؤكد على بناء قاعدة من الدعم الشعبي وإستراتيجية تهدف إلى ضمان الاعتراف على نطاق أوسع من خلال أعمال عنف فورية، ويشير MacCormik (496.495.2003) إلى أن هاتين الإستراتيجيتين تفرضان قيوداً مختلفة والتي يصفها ب" الأمن" و " النفوذ"؛ إن الجماعات الإرهابية مقيدة بحقيقة أنها يجب أن تحافظ على الحد الأدنى من الأمن الداخلي، لمنعها من التعرض للاعتقال أو القتل،ويقترح بهذا حماية قاعدة تشغيلية، ولكن في الوقت نفسه، فإن الجماعات مقيدة أيضاً بحقيقة أنه

[1] I gnacio Sanchez-cuenca ,La violencia Terrorista en la transicion espanola A la dermocracia,publicacion15-12-2009,en 21 :56 :42 ver19-04-2018,en19 :18,pp10-14-16.In :http:// historia del presente.es/sites/default/files/revista/articulus/14/14.2 ignacios anchez-cuencalav…

ينظر إليها على أنها فعالة، يجب أن تستمر في شن هجمات مروعة وشديدة الوضوح، يُوضع هذا الشرط عند تنفيذ المخالفات خارج القاعدة التشغيلية.

إن قاعدة العمل الخاصة بها هي" BAC" مجتمع الباسك المستقل. حولت "إيتا" إستراتيجيتها عام 1978م إلى حد كبير من واحدة تهدف للسيطرة على منطقة الباسك وتشجيع بقية البلاد على النهوض لدعم الحركة إلى إستراتيجية لتستند بشكل أوثق على الاستنزاف النقي، تم الإعلان بوضوح عن هذا الموقف في إعلان "إيتا" عن سياستها لعام 1978م (Letamendia 1994,14): إن مهمة الكفاح المسلح لا يتمثل في تدمير العدو، لأنه أمر طُوباويٍ، لكن في الواقع إجباره من خلال استنزاف نفسي وجسدي مُطول على التخلي عن أراضينا " وفي نفس الصدد، في مقابلة عام 1988 يكشف أحد المتتبعين(Ungueta 1988,51) عقلية الاستنزاف بإيجاز. نحن نعلم أن إيتا لا تستطيع تدمير الدولة الإسبانية... لا تستطيع تدميرنا أيضاً (Sanchez-cuenca,2007,295)[1].

ورغم كل ما تتخذه الحكومة المركزية ومن مفاوضات وحوارات مع إيتا لأجل إقناعها بوقف العنف والتأقلم مع الدولة في ظل التعايش والسلام الديمقراطي،إلا أن إيتا تبدو سياستها واضحة المعالم؛ " الانفصال".

لقد دخلت إيتا في مفاوضات في أوقات مختلفة على مدى عدة قرون ولكنها غالباً ما قوضت تلك المحادثات، وذلك لارتباطها بالعنف؛ في مارس 2006 على سبيل المثال: أعلنت المنظمة وقفاً دائما لإطلاق النار وأعربت عن اهتمامها بمفاوضات السلام، لكن تلك المحادثات تقادمت في "إيتا"، قامت بعدد من الأعمال الاستفزازية (مثل سرقة ثلاثمائة سلاح وذخيرة، ثم قامت بتفجير قنبلة في مدريد، مما أسفر عن مقتل شخصين) ما دفع

[1] Gary Lafree and others, Spatial and Temporal patterns of Terroorist attacks by ETA 1970 to 2007,published24/02/2011see,15/04/2018, at 12 :16.pp10-12 In http://ccjs-und.edu/sites/ccjs.und.edu/files/pubs/JQC-ETA.pdf.

بالحكومة الإسبانية إلى التنديد علناً للانفجار، والانسحاب من المحادثات، فبعد أربع(04) سنوات طلبت إيتا إجراء محادثات رفضت الحكومة هذا الطلب[1]

أصبحت المنظمة" ETA" متأكدة من نية الحكومة المركزية في رغبتها بتمرير سياستها السلطوية على الإقليم؛ فبعد توقف النشاط الإجرامي ETA بقي وضع الإقليم بتصرف الحكومة المركزية.يعتبر **Armaldo** القائد السابق للجناح السياسي لـETA، تم احتجازه في عام 2009، أجرى مقابلة وهو في سجن **La Jornada** بالمكسيك، قدم فيها وجهة نظره عن سبب اتخاذ ETA قرار بالتخلي عن النشاط المسلح ولماذا تقوم الحكومة بإحياءها على ما يبدو: يخلق اختفاء العنف المسلح لحركة "ETA" مشكلة خطيرة في اسبانيا إلى حد انه لا يوجد الآن عذر لعدم معالجة النقاش السياسي الحقيقي" في حين يشير Otegi إلى أنه لا يعتقد أن الحكومة مهتمة بالسلام نظرًا لردودهم على آخر التطورات، أكد أيضاً على المواقف الجديدة لـETA بعدم ممارسة العنف، قائلاً إنهم تلقوا رسالة من المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان (استنادا إلى حكمها الذي أكد عدم شرعية الأحزاب السياسية في إقليم الباسك المرتبطة بحركة إيتا) وأن فهمها وأخذها على محمل الجد بهذا سوف يدعم المجتمع السياسات التقييدية التي تحد من الحريات الأساسية مثل: تقييد حق التجمع طالما نشاط إيتا مستمر.

من الواضح أن اسبانيا تخلق أعذارًا كي لا تفقد روحها النابضة(إقليم الباسك)؛ فحكومة مدريد ترى أن السبب الرئيسي لعدم المشاركة في محادثات السلام هو أن إيتا لم تقم بتسليم جميع أسلحتها[2].

بقيت الحكومة تشك في حقيقة المنظمة، بناءًا على أنها تعتقد أن فك الارتباط المستمر لحركة " إيتا" لم يتم نشره وبعد، لكن غالباً ما يتم ذكره في وسائل الإعلام، والحسابات

---

(1) Nigel quinny and coyne A.Heather , op-ct,p87.

(2) Ariel Bothen ,An Analysis of The Basque indepence Movement and The political position of The Basque country within The Spanish state ,Athesis submitted in partial fulfillment of The requirements for a degree with Honors(International Affairs-pos and Anthropology,2014, university of Maine, pp48-53.

الأكاديمية والمتعلق بهزيمة المجموعة على أيدي الشرطة،لكن كل شيء الجماعات المسلحة السرية نادرًا ما تكف عن العنف.

إضافة أن تسليم ترسانات في أفريل 2017 يشير إلى أن المجموعة لديها السلاح لمواصلة الكفاح المسلح لبعض الوقت. فهي اختارت الانفصال[1] .

منظمة إيتا لديها ردات فعل متقلبة في كل مرة؛ بين مواصلة العنف وبين وقفه، وهذا يتوقف حسبها على استجابة الحكومة المركزية لها.

إن أكبر موضوع في كل وقف إطلاق النار الذي تعلنه المنظمة هو أنها تطالب بتقديم تنازلات معينة فيها يتعلق بالسجناء السياسيين، ولكن الحكومة ترفض أن تكون رهينة لهذه المطالب، مؤكدة على أنها وقف إطلاق النار لا يجب أن يكون مشروط.

ومع ذلك فإن إدعاءات إيتا بشان معاملة السجناء، وانتهاكات حقوقهم هي بالتأكيد وثيقة الصلة بموضوع عنفها.

وفي ذات السياق أجرت الحكومة سياسات فيما يتعلق بالسجناء تختلف قليلاً عن عهد فرانكو، تشمل سياسات التشتيت التي تبنتها اسبانيا في عام 1589م وهي انتشار السجناء "ايتا" في جميع أنحاء البلاد، تم ذلك جزئياً لمعاقبة الانفصاليين في إقليم الباسك، فالسجناء جزء مهم من خطاب المنظمة وصنع القرار، فعندما اتبعت اسبانيا الروتين الطبيعي وهو وضع السجناء بالقرب من منازلهم، كان ذلك يعني وجود الكثير من أعضاء إيتا في نفس السجون من بلاد الباسك، فيكون من السهل على المنظمة الحفاظ على سيطرتها عليهم. ومع ذلك فإن هذه السياسة تعني صعوبات لا مبرر لها للأسرى والسجناء، وقد أدت إلى واحدة من اكبر القضايا التي تؤخر عملية السلام (لزوم إعادة السجناء السياسيين إلى بلاد الباسك).

إن ما ينبغي على اسبانيا تذكره وتقبله هو أن المشكلات الرئيسية التي تمثل نقطة الخلاف بين إيتا والحكومة المركزية مثل وضع السجناء الباسكيين وكذا الاستقلال، هو طلب لن

[1] Philippe Eugéne Duhart ,.op-ct,p194.

يزول حتى لولم يدعم الناس التكتيكات العنيفة لحركة إيتا فإن الطلب على الحكم الذاتي المتزايد، منتشر ومُشرع أدلى Lehendakari في ذات السياق ببعض الملاحظات أهمها: في التلفزيون المحلي في أكتوبر 2012 والتي يظهر كلا من المثابرة الشعبية والدافع للاستقلال ودعماً بمبدأ" الاستقلال في الحادي والعشرون"[1] .

[1] Ariel Bothen,op-ct,p53-55.

نتائج الدراسة:

من خلال دراستنا للموضوع استنتجنا ما يلي:

– يتمتع إقليم الباسك بخصائص الأمة الواحدة وذلك من هوية وتاريخ مشترك وخصائص جغرافية مهمة(موقع، مساحة، تطور اقتصادي هام) ما جعله محط أطماع داخلية وخارجية وهذا ما زاد من صعوبة الأمة الباسكية في إنشاء دولة مستقلة.

– حاولت الحكومة الإسبانية أثناء حكم فرانكو طمس كل معالم ورموز التي من شأنها أن تدعم استقلال الإقليم بدءًا باللغة والهوية لاعتبارهما جذر القومية الباسكية. استمرت معاناة الإقليم حتى بعدما اتبعت الحكومة المركزية النظام الديمقراطي وهذا ما يدل أنها لازالت سياسة فرانكونية فقط بثوب جديد.

– واجه الإقليم نفس المصير على المستوى الإقليمي إذ كانت هناك عراقيل من قبل الإتحاد الأوربي حول استقلال الإقليم لأنه " حسبه سيشكل خطر على تماسكه ونفس الشيء بالنسبة لموقف فرنسا إذ اعتبرت استقلاله منافياً للجمهورية الفرنسية ولدستورها معتبرة بذلك الإقليم جزء منها.

الخاتمة

الخاتمة:

توصلنا من خلال تحليلنا للدراسة أن إقليم الباسك يواجه تحدياً على المستويين الداخلي والإقليمي، حيث الدول تسعى لتقويضه ومنعه من الاستقلال وهذا بناء على أهميته من جهة ومصالحها من جهة أخرى .

تتضح أهميته من خلال الإطار النظري الذي ذكرنا فيه أهمية موقعه الجغرافي والذي يمثل طريق عبور في القارة الأوربية،ما جعله يحظى بقيمة جيوبولتيكية منعته من أن يرسم سياسته وحده وذلك نتيجة الأطماع الفرنسية– الإسبانية. كما وجد الإقليم نفسه في مواجهة البيئة الدولية ما صعب عليه أن يتخذ لنفسه دولة ذات سيادة ،حيث اعتبره الاتحاد الأوربي جزء من إسبانيا بالتالي يمكن القيام بمشاريع تستفيد منها دول أعضاء الإتحاد،وعلى هذا الأساس لا يسمح بانفصاله، وكذلك بالنسبة لدولة فرنسا إذ أكدت على ضم الإقليم لها (المقاطعات الثلاث) وكل ما يخص الإقليم (تاريخ،ثقافة) فهو إرث حضاري لها ولن تسمح بانفصاله مؤكدة على أن دستورها لا ينص على التجزؤ.

إضافة أن الإقليم ورغم كل الضغوطات إلا أنه يحاول مواجهة ذلك، من خلال تركيزه على نقاط أساسية وحسبه لا يمكن أن تضمحل ولو تحت العنف والإكراه فهي أساس كل مطلبه: أهمها التاريخ، الثقافة، البناء الحضاري.

تكمن هذه المواجهة في مشروع السلام الذي عقده الإقليم مع الحكومة المركزية وفق خطوط عريضة ركز عليها الإقليم من جهة، وكذلك معارضة منظمة إيتا للحكومة مُبدية رغبتها في الانفصال.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية

أ-الكتب:

(1)- أحمد عبد الحافظ، الدولة والجماعات العرقية، دراسة مقارنة للسياسة الروسية اتجاه الشيشان وتتراستان(1991-200)، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 2005.

(2)- إس. كون كارلتون وإدوارد أ.هنت، السلالات البشرية الحالية،تر: محمد السعيد

(3)- الجبالي صقر وآخرون، قاموس المصطلحات المدنية والسياسة،ط1،مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية" شمس"، 2014.

(4)- الطيب بشير عبد الوهاب، الأقليات العرقية والدينية ودورها في التعايش القومي في أثيوبيا من الإمبراطورية إلى الفيدرالية،1930-2017،مركز الدراسات الإفريقية، السودان،2009.

(5)- الكيلاني عبد الوهاب، موسوعة السياسة.ج1،ط1،مؤسسة العربية للدراسات والنشر،لبنان،1999.

(6)- الهندي هاني، الحركة القومية العربية في القرن العشرين(دراسة سياسية).ط2. مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ،2015.

(7)- برونبورغ دانيال، التعدد وتحديات الاختلاف: المجتمعات المنقسمة وكيف تستقر، دار الساقي، بيروت،1997.

(8)- بورتشيل سكوت وآخرون، نظريات العلاقات الدولية،تر:محمد صقار،ط1، مركز القومي للترجمة، القاهرة،2014.

(9)- تزو حسن، فن الحرب،تر: رؤوف شبايك،ط1، دار أجيال،2007.

(10)– جون بيليس وستيف سميث،عولمة السياسة العالمية،ط1،جامعة أوكسفورد، الإمارات العربية المتحدة،2004.

(11)– شنيك غازي، النظام السياسي في المملكة الإسبانية، مؤسسة حمادة ،الأردن2000 .

(12)– عبد الكافي إسماعيل عبد الفتاح، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي–إنجليزي).القاهرة.

(13)– عبد الله العشري عبود، منهجية البحث العلمي في العلوم القانونية،ط1و2، دار النمير، دمشق،2002.

(14)– كريب إيان، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابر ماس،تر:محمد حسين غلوم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،1978.

(15)– كولماس فلوريال، اللغة والاقتصاد،تر:أحمد عوض، المجلس الوطني للنقابة والفنون والآداب، الكويت،2000.

(16)– مراد محمد، أوربا من الثورة الفرنسية إلى العولمة، دار المنهل اللبناني، بيروت،2010.

(17)–إكستراخوس و ياغموركوتلاي، أوربا الغنية بلغاتها: توجهات في السياسات والممارسات من أجل التعددية اللغوية في أوربا، المجلس الثقافي البريطاني، بريطانيا،2012.

(18)–الخوندي مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية: معالم،وثائق،موضوعات، زعماء. الج1، دار رواد النهضة، لبنان، 1994.

(19)–زايورامون وأيوصو ميكيل، تعرف على إقليم الباسك، رحلة إلى داخل ثقافته،تاريخه،مجتمعه،ومؤسساته،تر: عبد الرحيم الزوائري،2009.

غلاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1975.

(20)–لودر دوروثي، إسبانيا شعبها وأرضها،تر: طارق فودة، القاهرة،دن،مؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1965.

(21)–هنتغون صامويل، صدام الحضارات وإعادة بناء صنع النظام العالمي،تر: طلعت الشايب،ط2، دار سطور، القاهرة،1999.

(22)–وهبان أحمد، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر: دراسة في الأقليات والجامعات والحركات العرقية،ط2 ،جامعة الإسكندرية، مصر، 1998.

ب– الدوريات:

(23)– حسين سوسن، وحدة اسبانيا وتحديات الحركات الانفصالية،مجلة السياسة الدولية مركز الأهرام، القاهرة، 1980.

(24)– ماجد بهاء الدين، كان التاريخية ، مجلة دورية ،العدد الخامس ،دار ناشري،2009.

(25)– معوض أحمد نازلي، النظام الإسباني ما بعد الجنرال فرانكو، مجلة السياسة الدولية، العدد43، مركز الأهرام، القاهرة،1976 .

(26)–المداح محمد علي، مشكلة الباسك بين الاستقلال والحكم الذاتي مجلة السياسة الدولية،مركز الدراسات الإستراتيجية، القاهرة،1980.

ج– المذكرات:

(27)– بن عبد الرزاق حنان، الآليات المؤسساتية لإدارة التعدد الإثني: دراسة حالة النزاع في إقليم الباسك بإسبانيا منذ 1959،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية،جامعة محمد خيضر،بسكرة،2007 –2008

(28)– بن عبد الرزاق حنان، تأثير المأزق الأمني على الاستقرار الداخلي للدولة،دراسة للنموذج الاسباني منذ 1936،مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في

العلوم السياسية والعلاقات الدولية،تخصص علاقات دولية ودراسات إستراتيجية،2016-2017.

(29)-بلعيد سمية، النزاعات الإثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها: جمهورية الكونغو الديمقراطية أنموذجا،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية،فرع الديمقراطية والرشادة، جامعة منتوري، قسنطينة،2009-1010.

ثانيا: باللغة الأجنبية

اللغة الإسبانية:

أ-الكتب:

Libros

(30)-El Kartea Garabide ,la standardisation de la langue :la récupera-on de la langue basque II,EsKariats,2010.

(31)-Freize José Javier ,Emociones e historia,asociacon de historia contemporaea edicions de historia S.A, Madrid, 2015.

(32)-Gonzalez Ricardo Monge y Salarzarxirinanchs Jose manuel ,politicas de clusteres y de dess arrollo productivo en la comunidad autonoma del pais vasco.ed :1, organizacion intermacional del trabago, Américas ,2016.

(33)-Gurnustscaga Igor Ahedo ,El viaje de la identidad yel nacionakismo vasco en Ipparalde (1789-2005). Vol :1 , servico central de publicaciones del gobierno vasco Vitoria ,2006.

(34)- Herce Jose A ,La economa del pais vasco :Diagnostico estrategio,servicio de estudios de la caisca,Barcelona ,2010.

(35)-Subirama Joan capdevilai ,Historia del deslinde de la frontera Hispano-Francesa-deltrado de los pirineos(1659) a los tratados de Bayona(1856-1868 nacional de informacion geografica),Espana ,2009.

Revistas : **الدوريات**

(36)-Lecup Olivier ,Le regimen Juridico de los lenguas regionales en Francia yel problema de la ratificacion de la carta Europea de las lenguas regionales y ninoritarias :es necesario revisar la constitucion ? .Revista catalana de dret public,N :51,2015.

(37)-Ramirez Tscema ,prensa y conflicto vasco(1975-2016) : recopitatoria de actitudes y vicisitudes.Revista latina de comunicacion social,N71,2016.

Thesis : **المذكرات:**

(38)-Alcaid XAbier minguez ,una aproscimacion psicosocial al conflicto vasco construy endo la paz en espacio Abierto-Thesis doctoral,2013.

(39)-Farina carlos ,La colectividad vasca en chile des pués de la guerra civil Espanola a través de la revista EuzKadi 1943-1950.thesis para optar al grado de licenciado en historia,university of Santiago,2006.

Articlos : **المقالات:**

(40)-Etsceberria Fran cisco y otros :proyecto de investigacion de la tortura y alos tratos en el pais vasco entre 1960-2014publicacion 16/12/2017ver13/04/2018en :16 :45 pm. http://www.irekia.eusKadi.eus/uploads/attachmen ts /10779/INFORME-Final-investigacion-to

(41)-Fernandez de Nalderrama cristina Blanco :Inmigracion e identidad colectiva-Reflescion sobre la identidad en el pais vasco ver,14-02-2018,en 9 :47. https://ddd.uab.cat/pub/papers/02102862 n43/02102862 n43p41-pdf.

(42)-Fernandez-ulloa teresa ,La educacion bilingue en el pais vasco :problema y retos, publicacion,see,06-02-2018,en23 :15,http://www.csub.edu/~t Fernandez-ULloa/EDUCAcion/educacion%20bil.bdf
(43)-Nagusia Idaz Karitza :plan de paz y convivencia 2013/6publicacion16/11/2013ver 13/04/2018 en16 :39 pm. https://www IreKia.eusKadi.eus/uploads/attachments/3814/propuesta-del-plan-de-y-convi…
(44)-Orcajo Javier Agirre ,Economia circular en el pais vasco proyectos de demostracion para la reutizacion de materiales ver06/02/2018 en23 :02pm. http://www.residourecurso.com/blog/wp-wp-content/upload/econocircular.pdf.
(45)-Sanchez-cuenca Ignacio ,la violencia Terrorista en la transicion espanola a la democracia publicacion15/2009 en21 :56 :42ver 19/04/2018 en19 :18pm. http://historiadel presente .es/sites/defau/files/revista/articulos/14/14-2ignacios anchez-cuer calav…

المواقع:

(46)-Pais vasco :http://www.mercasa-es/Files/multimedios/04-pais-vasco.pdf.

اللغة الإنجليزية

أ–الكتب **Books :**

(47)-Barturen Bernabe unda ,Energy strategy for The Basque country 2020.2012.

(48)-De luna InaKi Martinez and others ,Sociolinguistic evolution of Basque language (1981-2011).digital edition :www-sozioliguistika.eus/bilaKaera 1981-2011.

(49)-Irazuzta Gatti and de Albeniz mtz ,Basque structures,institutions,society and contemporary life.ed :2,centre de estudios sobre la identidad colectiva,pais vasco,2005.

(50)-Muru Diego and woertz EcKart , Secession and counter-secssion :An international relations perspective.centre for international affairs,Barcelona ,2018.

(51)-Quinney Nigel and coyne A Heather,Talking groups That use terror.united states instituted of peace,washington ,2011

المذكرات: thesis :

(52)-Bothen Ariel ,Analysis of The Basque independence movement and The political position of The Basque country within The spanish state,Athesis submitted in partial fulfillment of The requirement for a degree with Honors (international affairs-pos and anthropology, university Maine,2014.

(53)-Duhart Eugéne philippe ,Between Ballots and Bullets : armed struggle and peace making in northern Ireland and The Basque country,Adissertation submitted in partial satis faction of The requirement for the degree Doctor of philosophyin sociology, university of California,Los Anegles ,2017.

(54)-Ruiz Diego Muru ,Ethnicity and violence :The case of radical Basque nationalism,thesis submitted in partial requirment for The degree of Doctor of philosophy-the london school of Economics and political science, university of London,2004.

(55)- Stubbs.B.A Graham M ,A comparative analysis of The to the intractability of The basque conflict,Athesis submitted faculty of The school of continung studies and of graduate school of arts sciences in partial fulfillment of requirements for the degree of master of art in liberal studies, georgetow an,university,washington,D .C,2012.

(56)- Tronnberg Farida ,state reguluation of anti-democratic parties :A comparative study of germany,spain and swedeu,Master Thesis in international and European affairs,2013.

(57)-Uzdella Alison ,changing sructure,changing identities :A national choice escamination of Basque national identity.In partial fulfillment of The requirement for The degree of philosophy in The field of political scienece,2014.

(58)-Weaver MichaelT ,protest,radicalism and militancy in Spain s Basque country :the Basque national movement and the persistent struggle of E T A ,Athesis in partial fulifillment of The requirement for the distinction All college Honors and The degree Bechehor of arts indepartment of political science,2002.

Articls : **المقالات**

:

(59)-Dongera van and othors ,Research for CULT committee-minority languages and education ,best practices and pitfalls, se24/04/2018 at 19 :35pm.In http://www.europa.eu/Re Data/eutudes/STUD/2017/58915/Ipol-STU% 2820 17%29589. --

(60)-Feliu Jaune ,Analysis of cross-Border projects Between France and Spain 2007-2013,Stakholers and territorial impact. see24/04/2018 at11 :00pm.In http://www.eurogeography journal.eu/articles/Analysis%20 F %20 cross-Border%20 proj../Jaune Feliu/2013

(61)-Lafree Gary and others ,Spatial and temporal patterns of terrorist attacks by ETA 1970 to 2007,published24/02/2011,see15/04/2018at12 :16.In https://ccjs.und.edu/sites/ccjs und.edu/files/pubs /JQC-ETA.pdf.

(62)-Loucaides LouKis and othurs ,case of parti nationalist Basque.organisation régional diparralde V.France(Aplicacion no.71251/01), published 2/2/12,3at :52pm, see24/04/2018,at 23 :08pm In http://www.icnl/research/library/files/France/parti 24% nationaliste %20Basque %20 -%20 organ…

(63)-Murply lindsy ,EU membership and an independent Basque state,published 9/2007,see27/04/2018,at11 :19pm.In http://digitalcommons.pace-edu/cgi/viewcontent-cgi article=1070y contesct =pilr.

(64)-Murua Juan Ramon ,contribution of The immgrant population to demographic and dynamics of the Basque country ,published6/07/2015,see7/12/2017,at11 :45pm.

(65)-Ras Mar-Lisa ,Orain Herria.Orain Bakea :Local perspectives from Basque nationalists on a lasting peace in The Basque country,published25/01/2016,see 16/04/2018,at 22 :37.In http://theses. Ubn.ru.nL/bitstren/handle 1123456789/854/Ras Mar-liza-pdf.

(66)-Retegui Javier ,the legal status of The Basque language today :one language,three administrations,seven different geographies and adispora,see 24/04/2018,at 17 :26pm.In http://www.eusKonews –com/0463ZbK/ene-120.pdf.

خطة الدراسة

خطة الدراسة

- الإهداء.....

- الشكر.....

-مقدمة.....02

- **الفصل الأول: عوامل بروز النزعة القومية لإقليم الباسك**

-المبحث الأول: العوامل المادية للنزعة القومية الباسكية 01

- المطلب الأول: الخصائص الجغرافية لإقليم الباسك.....01

- المطلب الثاني: القيمة الجيوبوليتيكية لإقليم الباسك.....07

- المبحث الثاني: العوامل اللغوية للنزعة القومية الباسكية.....12

- المطلب الأول: العامل التاريخي المشترك لإقليم الباسك.....13

- المطلب الثاني: العامل الثقافي لإقليم الباسك.....18

- **الفصل الثاني: الضغوطات الداخلية على إقليم الباسك**

- المبحث الأول: السياسات الوطنية الإسبانية في مواجهة الإقليم.....30

- المطلب الأول: السياسة الإسبانية أثناء حكم فرانكو 1936-1975.....30

- المطلب الثاني: ما بعد فرانكو: من المركزية إلى اللامركزية.....36

- المبحث الثاني: إرتدادات الفعل الباسكي على السياسة الإسبانية..... 42

- المطلب الأول: تطور علاقة الباسك بالدولة الإسبانية.....42

- المطلب الثاني: إستراتيجية منظمة إيتا في الباسك.....48

- **الفصل الثالث: الضغوطات الإقليمية على الإقليم ووضعيته بعد استفتاء الانفصال**

- المبحث الأول: موقف الاتحاد الأوربي و قيمة الموقف الفرنسي تجاه الإقليم.....57

– المطلب الأول: موقف الاتحاد الأوربي تجاه الإقليم.....57
– المطلب الثاني: قيمة الموقف الفرنسي تجاه الإقليم 63
المبحث الثاني: وضعية إقليم الباسك بعد استفتاء الإنفصال.....68
– المطلب الأول: نحو العودة لإسبانيا.....69
– المطلب الثاني: زيادة راديكالية الحركة الانفصالية.....76
– نتائج الدراسة.....81
– الخاتمة.....83
–قائمة المراجع.....85

ملخص الدراسة:

يعتبر إقليم الباسك أحد الأقاليم التي تسعى لتحقيق استقلالها من خلال تفككه عن الدولة الإسبانية، باعتباره يتمتع بكل المقومات لبناء دولة قائمة بذاتها. واجه الإقليم رفض الحكومة المركزية مبررة هذه الأخيرة أنه جزء منها حيث سعت لتطويقها بكل الوسائل.

كانت الحرب الأهلية الإسبانية 1936–1939 والتي اندلعت داخل إقليم الباسك تحديدًا جيرنيكا بمثابة حدث تاريخي ومنعرج حاسم،إذ عاش على إثرها الإقليم أصعب مراحله.بدأت سياسات القمع والعنف ضد الإقليم ومحاولة تجريده من كل الامتيازات والحقوق.

حتى على المستوى الإقليمي كانت هناك سياسات لعرقلة طموحات الإقليم والتي إنتهجها كل من الإتحاد الأوربي وفرنسا. على أثر هذه الضغوطات أصبح الإقليم يعيش حالة تمزق؛ بين مواجهة كل هذه الضغوطات والتصدي لها، أو التفكير بعقلانية حول انعكاساتها الوخيمة على شعب الباسك.

Abstract of study :

The Basque region is one of The regions That seeks independence through its dissolution of The Spanish state, as it has all The mens to build a state in Its own right.The region faced the rejection of the central goverment,jusfiled as part of it where it sought to surround it by all means.

The spanish civeil war,which broke out within Basque in particular in the city of Garnica,was the most important historical event and de cisive passage,as the region lived the most difficult stanges. The policies of repression and violence against The province have begun and an attemt is being made to deprive it of all privileges and rights.

Even at the regional Level There been policies to block the regions anbitions pursued by Evand France.

As a result of These pressures,The region is in a state of rupture, Between confronting all These pressures and confronting Then or Thinking rationally about their dire repercussions on The Basque people.